نخبة

من

سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي

بقلم ولده الشماس بولس

تشتمل

على تاريخ البطاركة وبيان احوال البطريركية في دمشق

وسائر الابرشيات التابعة لها في القرن السابع عشر

نشرت تباعاً في مجلة « المسرة »

عني بطبعها وتعليق حواشيها

الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي



مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

98 —


Стѣйшии Макарій
патріархъ
антіохіискіи
مكاريوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

نخبة

من

سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي

بقلم ولده الشماس بولس

عُني بنشرها الخوري قسطنطين الباشا ب م



بمطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩١٢



مقدمة

للشماس بولس فضل عظيم على البطريركية الانطاكية مسجل في تاريخها لا ينكر. ولا يعرف قدره الا من بحث في تاريخ النصرانية ووقف على احوال البطريركية في تلك الايام. فانه كان مساعداً لوالده وقائماً بادارة اشغال البطريركية معه حتى اذا لم يكن رفيقاً له باسفاره كان في دمشق نائباً عنه ويقوم بالعمل فيها مقامه . وبالاجمال كان قيم داره وكاتب يده ان كتب او صنف. واذ نشا على يده صغيراً ولم يفارقه كبيراً شب على ما كان والده محباً للدرس والمطالعة والكتابة. ومن ثم كان نظيره من المولفين في تاريخ البطريركية الانطاكية ورجالها وكثير العناية بالبحث عن اثارهم وشديد الحرص على تقييد ما يصل منها الى يده من قديم وحديث وهو مع كثرة اشغاله وقلة راس ماله لهُ مولفات ذات شان في التاريخ لا نجد لها مثالاً بقلم من كان قبله الا اذا رجعنا فيه الى عهد بعيد. ولهذا يعد كلامه في احوال البطريركية الانطاكية في ذلك العهد حجة يعول عليها في البحث واصلا يرجع اليه ويعتمد عليه بالنقل .

واهم مولفاته كتابه الذي وسمه بسفرة البطريرك مكاريوس الذي ضمنه اخبار حياة والده ولاسيما سفرته الاولى بطريق القسطنطينية الى بلغارية والفلاخ والبغدان وروسية وقد صدر ذلك بملخص تاريخ البطاركة الذين اقاموا في دمشق الى ان توصل الى رسامته كاهناً ومطراناً حتى صار بطريركاً واسترسل في وصف احوال البطريركية ذاكرا المطارنة الذين انتدبوه والذين رسمهم بعد ذلك والمدن والقرى والديارات التي زارها في اسفاره الكثيرة قبل سفره الى بلاد المسيحيين لطلب الاحسان لوفاء ما كان عليه من الديون. فاحب المولف ان يرافق اباه في سفره يقاسمه مشقته ويشاركه بعمله ويخدمه باحتفالاته قياماً بالواجب عليه لابيه واجابة لداعي الشوق لمشاهدة ما في هذه البلاد من الامور الشائقة . واجابةً لاقتراح اصحابه حرر وصف ذلك في كتابه هذا حتى رجع معه الى كرسيه فقص ما جرى له بعد عودته بعقده المجمع على مطران حمص وطبخ الميرون الذي وصفه وصفاً شائقاً كما وصف الدار البطريركية التي جددها في دمشق والدار الاسقفية في حلب بعد وفاء الدين الى غير ذلك من الاعمال المفيدة والمجيدة في سبيل الطائفة

واذ كان الكتاب على ما ذكرنا فلا غرابة اذا استلفت نظر العلماء من اوربا حتى نقله الى الانكليزية احد المستشرقين Belfour وطبعت ترجمته في مجلدين سنة ١٨٢٩ — ١٨٣٦

فتلقاها القوم بالشوق والاستحسان لما تضمن الكتاب من الامور الشائقة عن احوال الشرق حتى نقل عنها شيء منه الى لغات شتى الى ان عني بنقله الى الروسية المرحوم جرجي بك مرقص الدمشقي بترجمة اصح واكمل من السابقة قضى فيهـا من حياته اربع سنوات وطبعت في خمسة مجلدات سنة ١٨٩٦ — ١٩٠٠ نقلا عن ثلث نسخ كتبت في منتصف القرن الاخير في الشام وهي محفوظة اليوم في موسكو وبطرسبرج كما يستفاد ذلك من مقالة وافية البيان نشرت في مجلة المشرق سنة ١٩٠٢ بقلم حبيب افندي الزيات من املاء المترجم الذي كان في عزمه ان ينشر الكتاب بلغته لكن توفاه الله تعالى الى رحمته وبقي امر الكتاب في نفسه ماسوفاً عليه معه

على اني اذ كنت في باريس سنة ١٩٠٥ اطالع بعض المخطوطات العربية التي في مكتبتها الكبرى وقعت لي فيها نسخة من هذا الكتاب الشائق وقد دخلت اليها حديثاً مع مخلفات المستشرق الشهير المرحوم Schefer وبعد مطالعتي الكتاب بالشوق الذي يستحقه قطعت بانه اذا لم يوفق الاستاذ المذكور لنشره فلا امل بنشره كاملا اذ لا يقدر على ذلك الا من كان نظيره عارفاً بلغته الاصلية والروسية وجغرافية البلاد التي طافها المولف وعادات اهلها وكان قادرا على القيام بنفقة ذلك كما قام بنفقة طبع الترجمة . ومن ثم كتبت له ابشره بهذا الاكتشاف وعرضت عليه مقابلة النسخ التي لديه على نسخة باريس ما دمت فيها لكن خرجت منها ولم يرد لي منه جواب

وكنت حينئذ نقلت قسما كبيرا من الكتاب مما جعله المولف مقدمة لسفر والده من ملخص تاريخ البطاركة الذين كانوا قبله ووصف احوال البطريركية والقسم الاخير منه الذي حكى فيه الامور التي جرت بعد عودته من سفره مما يصح ان يقال فيه انه زبدة الكتاب . وسيرى القاري صحة ذلك وان هذه النخبة افضل واجمل دليل على شان الطائفة واماكن انتشارها في عهد المولف تاريخياً وجغرافياً

ولعل المولف قصد ان يفعل بكتابه ما اثرت لاني وجدت القسم الاول منه مع اعمال المجمع وطبخ الميرون في دفتر منفرد « كتب سنة ١٧٥٠ بيد جبرائيل ابن الشماس نعمة ابن الخوري توما الكاتب » في القلاية الحلبية . فقابلت ما فيه على ما نقلته من نسخة باريس فلم اجد فرقاً مهما الا بالنقصان بل ان نسخة باريس اصح واكمل النسخ كلها واقدمها ولعلها تكون الاصلية . فان الورقة الاولى التي كانت مزدانة باسم الكتاب ومولفه قطعت قصاً وكان المرحوم العلامة (شفر) كاتماً اسرار سفارة فرنسا في الاستانة سنة كارثة حلب . فلا يبعد ان تكون وصلت اليه هكذا من حلب وكان اشد الناس غراماً باقتناء المخطوطات الشرقية القديمة ولا سيما التي تكون بخط يد مولفها

وقد كفانا المولف رحمه الله تعالى كلفة كتابة ترجمة حياته بما كتبه عن والده الذي ترمل حين كان بولس رضيعاً . واذ كان كاهناً وممنوعاً عن الزواج اقتضى الحال ان يقوم

على تربية ولده بذاته ويكون بمقام والدته التي كان له من بعدها عزاء وانساً ثم اصبح تلميذا ورفيقاً وشماساً كل حياته الى ان مات برفقته في مدينة تفلس من بلاد الكرج وهو عائد من سفرته الثانية الى البلاد الروسية كما كتب مكاريوس الى يواصف بطريرك موسكو في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٩ . وترك الشماس بولس ولدين الاكبر منهما حنانيا لا نرى له ذكرا الا في حياة ابيه وقسطنطين الاصغر ارتقى الى البطريركية خلفاً لجده سنة ١٦٧٢ شاباً ولم يتجاوز عشرين سنة باسم كيرلس كما سترى وتوفي متحدا مع الكنيسة الرومانية في اخر سنة ١٧١٩

وقد ابقينا الكتاب على اصله لم نحذف ولم نغير منه شيئاً مع ما فيه من اللحن ليكون تام الدلالة على ما وضع له بلغة مولفه وصيانة على سلامة الاثار التاريخية وانما ربطنا بين قسميه بعبارة تشير الى ذلك في محله وعلقنا على بعض المواضع منه ما اقتضى من الحواشي لايضاح او تحقيق ما ورد في المتن مما تيسر لنا الوقوف عليه من هذا القبيل في بعض الكتب التي يعز الوصول اليها . وكذلك وضعنا بين هلالين تاريخ السنة المسيحية بعد تاريخ سنة العالم الذي كان شائعاً في زمان المولف بان طرحنا الفرق بين التاريخين وهو ٥٥٠٨ في المدة من كانون الثاني الى اول ايلول و٥٥٠٩ من ايلول الى كانون الثاني على الحساب الذي لم يزل جارياً عندنا في الكتب الطقسية

والمرجو من القراء النجباء العذر للمولف وناشر هذه النخبة اذا لم يجدوا انشاء الكتاب كما يحبون وكما يجب ان يكون لو كان للمولف ما عندنا اليوم من سعة المدارس وكثرة المعلمين وباقي معدات التعليم التي لم يكن لها وجود في عصر الشماس بولس . ولولا عناية ابيه به لكان امياً وبفضل اجتهاده ونشاطهِ بلغ الى هذا الحد وكتب هذا الكتاب الذي هو لا محالة دليل ساطع على ادبه وعقله وسعة علمه جازاه الله تعالى خيرا



نص الكتاب

الحمد لله الذي زين السماء ورفعها بغير عماد وبسط الارض ووضعها لسكنى العباد وانمآء ابناء ابينا ادم فصارت امما لا يضبطها اعداد وتكاثروا فيها وعمروا القرى والمدن والبلاد في كل اقليم منهـا وناحية وجانب في القبلة والشمال والمشارق والمغارب حمدًا يليق بربوبيته وينبغي للاهوتيته نقدّمه اليه ابدًا في كل اوان الان ودائمًا سرمدًا مدى سائر الازمان

وبعد فاقول انا العبد الفقير واحوج الناس الى رحمة الله ربي بولس باسم ارشيدياكون او شماس الارثوذكسي الحلبي اني اذ كنت ابنًا طبيعيًا للاب المفضل الاقدس المفخم الكريم كير وكير مكاريوس البطريرك الانطاكي ابن المرحوم الخوري بولس بن الخوري عبد المسيح البروطس المشهور ببيت الزعيم وقد ربيت معه بالالفة المتصلة به جداً ولم تلذّ لي قط الفة غيره اذ من حين فطامي عن الرضاع بانتقال امي عانى التعب فيّ ولم يكن لي سواه كاشفًا لغمي فكنت اقتات بغذاء اقواله المحيية شاربًا عـلى الدوام مآء تعاليمهِ العذبة المروية تابعًا له في كل امر وحيثما يكون بغير افتراق كنت مثابرًا عـلى صحبته حينًا فحينًا بغير عواق وغب ما انتدب سابقًا وصار في حلب مطران اثني عشر عام وبعد ارتقائه الى كرسي البطركية الانطاكية البطرسي الشريف المقام الذي هو مرتب يومئذٍ في مدينة

دمشق الشام فما لبث مدبرًا لهُ مدة ما سائسًا احواله برايه السديد وعزمه الشديد الى ان قادته يد المقدرة الى طواف اقاصي البلاد والقرى والجزائر لا متفرجًا متزهًا لا ولا زائرًا بل مضطرًا من شدة ضيق الوقت واعساره مبعوثًا لذلك رغمًا لا باختياره وذلك لما كثرت الديون التي كانت على الكرسي المذكور المتخلفة منذ حياة المرحوم البطريرك افتيميوس الساقزي المشهور وقد ربت برباء الفوائد الكثيرة حتى ما عاد يقوى ابناء نوريته على وفائها اذ صارت غزيرة فتضجر لذلك وقلق من هذا الضر وتلهف للنجاة من ذلك الاسر المر فلم يجد له عند ذلك وسيلة ولا نجدة من احد ولا حيلة حتى شمر عن ساق الكد وركب جواد الجهد والجد وقصد التوجه والمسير نحو المنهج الخطير العسير قاطعًا السبل الصعبة قاصدًا المناهل العذبة بل البحار العظام الزاخرة اعني بهم اولي الفضائل السنية والخلال الفاخرة غياث الطالبين وكفو الراغبين وهم الملوك المؤيدين المنصورين والامرآء والباكوات المبرورين الذين بالديانة المحقة والامانة الصادقة مشهورين ادام الله دولتهم وخلد سلطتهم وثبت وجودهم وايد في افق العلا ابراج سعودهم ليستمد من غزير فضلهم واحسانهم ما يوفي به دينه ويساعده على القيام بتأيد دينه فرأيت وقتئذٍ ان اكون له رفيقًا لاساهمه في تعب ومشقة الطريق وتجهزنا بعون الله وهممنا بالسفر

فرغب اليَّ اذ ذاك من كان حضر وهو احد خلاني الصادق

يقيناً في ودي ومحبتي وهو الاخ المكرم والاديب الفاضل المفخم فريد عصره واوانه ووحيد قرنه وزمانه اعني به الشماس جبرائيل ابن المرحوم قسطنطين الصائغ [1] ذو الكمال البالغ والادب السابغ وفي العلم الفائق والادب الحاذق ان اجمع تاريخاً يتضمن مآل مسيرنا وذهابنا يوماً فيوماً مدة غيابنا واوصف محرراً جملة امور البلاد التي نجوزها

(١) كان الشماس من الكتّاب البارعين بحسن الخط ومن المقربين لدى البطريرك مكاريوس ولعله كان كاتباً عنده منذ كان مطراناً على ما يؤخذ من ثلثة كتب بخط يده وقفها مكاريوس وابنه في زيارتهما لاورشليم. ومن كتاب عندي بخط يده انه كان ابن اخت ملاتيوس مطران حماة احد المطارنة الذين انتدبوا مكاريوس للبطريركية كما سيأتي ذلك وان اباه قسطنطين كان ابن المطران غريغوريوس ابن فضيل والاول والاشهر بهذا الاسم مطران حلب اصله من حماة استوطن معه اهله حلب فسمّوا بيت الحموي. وكان له اخ آخر كاهن في حلب باسم عبد المسيح رسمه مطراناً على اللاذقية البطريرك يواكيم زيادة بعد موت اخيه غريغوريوس باسمه ايضاً اي غريغوريوس ابن فضيل ابن توما ابن نجار من كفر بهم من اعمال حماة على ما يؤخذ من كتابين كانا لهما محفوظين في مكتبة الواتيكان في عدد ٥٠ وعدد ١٧٤ ومن ثم يكون جد الشماس جبرائيل مطران حلب التي كان تعيّن فيها وقت تاهب البطريرك مكاريوس للسفر الى بلاد النصارى

ومن هذه الاسرة الخوري نقولا الصائغ ابن نعمة الله ابن موسى الصائغ الحموي المشهور بالحلبي وابن عمه الشماس عبدالله زاخر بل قد ولدا في حماة اذ عاد اليها ابواهما من حلب بعد قتل جدهما موسى فيها لائذين باقاربهما في حماة ونسبةً لصناعة احد اجدادهم بالصياغة دعوا بيت الصائغ ومنهم اليوم بيت الصائغ في زحلة والشوير قدم جدهم من حلب واقام في الشوير بجوار قريبه الخوري نقولا الشهير

ليتحقق عند الكافة ما يسمع عنها من اشارات الاحاديث ورموزها فاعتذرت اليـه اني لست كفوًا لهذه الصناعة لاسيما وانا معوز مما يناسبها من البضاعة اعني من ترتيب تنميق الاقوال واعراب الكلام ومن حسن تركيب الالفاظ كأهل هذا الفن السادة الكرام وسالته ان يعفيني ممـا لايستطاع لاسيما اذ نحن سائرون بكد واسراع فلم يقبل مني هـذا الاعتذار والحّ عليّ بالمطلوب وواظب التكرار فانتهزت همتي الفاترة ومددت للمقصود يـدي القاصرة لا لكي انتظم في جريـدة المؤرخين ولكني ابتغيت اثبات امور كثيرة كانت تُنكر على الناقلين ولم يكن احـد يصدقها فيظن ان كاتبها وناقلها لغوًا ينمقها الى ان تحققت ما بالنظر شاهدته وسماعًا صحيحًا سمعته وثبت عنـدي صحته ليس البعض منه لكن الجميع بجملته اي ما لاحظته روية العين حين ذهبت الى بلاد المسيحيين واتضح لنا سائر ما نذكره من كلما ثبت عندنا في مسافة الطريق واقامتنا هناك الى ان عدنا الى بـلادنا اذ كان هذا دابي من صغري اي اقتناء التواريخ ومطالعتها فطالما اطلت فيها نظري فاجهدت نفسي حسب مقدرتي وجمعت ما تيسر لي اجتماعه وبالغت في ذلك كما يقال حسب القوة والاستطاعة راجيًا به ان يكون نزهة للناظر ومنزهًا للخاطر ويسبح الباري تعالى من كل من يسمعه ويقراه اذا فهم ما ذكر فيه من الاوصاف والاحاديث المشتهاة وليحصل للمسيحيين منه جم الفوائد عند سماعهم مما عند



اولئك المؤمنين من شريف العوائد ومواظبتهم لحسن العبادة باوفر
مثابرة واقتناء اتقان الاصوام والصلوات المتواترة وحسن الديانة
وصحيح الامانة وصالح السيرة ونقاوة النية والضمير والسريرة
اعني ما سنوصفه فيما بعد ونوضحه وهو ما قد رأيناه عياناً ونشرحه
الا اني احببت ان اجعل في اوله تشريفاً له ذكر بطاركة انطاكية
المتاخرين في الزمان الذين صاروا في مدينة دمشق الشام منذ
سالف الوقت الى الان ونطلب التوفيق من الباري تعالى جلّ شأنه

نبتدي اولاً بارشاده تعالى ذي الفضل التام بالبحث عن سبب
كيان البطركية بمدينة دمشق الشام وذلك انه لما انتدب سندي
وسيدي اعني حضرة الاب الكلي القداسة والدي بطريركاً على المدينة
المذكورة كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً بالاخبار المشكورة اخذت افتقد
كافة كتب قلاية البطركية ثم ما هو في بيوت اعيان الملة المسيحية
لاجد سبب انتقال البطركية من مدينة الله العظمى انطاكية الى
مدينة دمشق المحمية فلم ابلغ بغيتي ولا نلت منيتي فعدت حينئذٍ
الى الفحص في التواريخ القديمة ملتمساً القصد والارب وما هو
الباعث الى ذلك السبب الى ان ظهر لي ما فعله الملك الظاهر
بيبرس البندقداري سلطان مصر المشهور لما قصدها في سنة
ست وستين وستماية للهجرة كما هو في التواريخ مسطور على حين
غفله من اهلها لانه جاء من مصر بصفة اولاق اليها ونزل عليها
غرة شهر رمضان فخرج اليه جماعة من اهلها يطلبون الامان . وشرطوا

شروطاً لم يجب اليها وزحف عليها فملكها يوم السبت سابع رمضان

قال ¹ وكان لما نزل عليها توهم هو والامرآء والجند انها لن توخذ الا بعد سنة كاملة . وان حصارها يطول عليهم بغير طايلة فاقام الجيش ثلاثة ايام وارادوا ان ينصبوا المجانيق للحصار ونصب العسكر سلم الخشب على الاسوار وصعدوا فلم يجدوا احداً يقاتلهم فملكوا البلد ليلاً من غير علم اهلها بهم . ونهبوا الاموال والقماش والخيول والابل والانعام والجواري والعبيد شيء يجل عن الوصف والتعديد ولم يحصل لهم في بلد غيرها اكثر مما حصل لهم بها وقتلوا من اهلها ازيد من اربعين الفاً . واحرقوا كنائسها المشهورة في العالم واتلفوها تلفاً وسبوا واسروا بقية اهلها واخذوهم لديار مصر فصار لهم امر ونهي وسعادة بها . وقال تاريخ آخر وما حصل لانطاكية ولاهلها من الضر والبوس لا توصفه الالسن ولا تحصيه الطروس لانه بالغ في ضربها ودثارها وطرد اهلها منها وهدم كنائسها ودرس اثارها وشتت ابنآئها المسيحيين في مصر وباقي

(١) لم يذكر الشماس بولس اسم المؤرخ الذي نقل عنه هذا الكلام وقد روى هذا الامر مؤرخون كثيرون من العرب والافرنج لان انطاكية كانت حينئذٍ بيد الصليبيين وتخص امير طرابلس Bohémond IV وابلغ من توسع بوصف هذا الخراب من مؤرخي العرب الفضل ابن ابي الفضائل في تاريخه النهج السديد في كلامه عن سنة ٦٦٦ للهجرة (١٢٦٨) ومن كلامه هناك « لو حلف الحالف انه ما سلم من انطاكية احد لما حنث . ولقد كانوا ماية الف او يزيدون عدا من اجتمع في القلعة من رجال المقاتلة بهذا القدر ويزيدون »

البلاد . وفي ذلك كفاية وغاية الاقناع فيما يرام ويراد

فمن هذه العلة ايقنت ان لم يبقَ للمسيحيين قوة ان يعيدوا كرسي البطركية اليها على الرسم المعتاد . واتضح لي ان سبب ذلك الانتقال كان من هذا البلبال [1] واذ قنعت بذلك بعد الكد والجهد تجدد فيَّ عزم آخر وضاعفت الجهد وابتغيت حينئذٍ ان اعلم من كان بدء البطاركة بدمشق اولاً ورجوت ان اجد لهم تاريخاً متتابعاً مفصلاً يذكر فيه تعاقب بعضهم بعضاً ومدة اقامة كل منهم فلم اصادف ذلك ايضاً . بل رايت تواريخ متفرقة في كتب قديمة مصدقة تتضمن ذكر كافتهم ومدة رئاسة كل منهم الى وقتنا هذا وجملتهم اعني من سنة ستة الاف وثمانماية اربعة وسبعون لآدم الى سنة سبعة الاف ومائة وست وخمسون للعالم . العام الذي انتصب فيه والدي بطريركاً فاجتهدت ان اجمع ذلك التفريق واجعله تاريخاً متلاحقاً على التحقيق . كما قدمت هذا الاعتناء في تاليف ذكر بطاركة انطاكية الاولين من عهد القديس بطرس هامة الرسل الى زمن ايليا وكريستيانوس البطاركة اللاتينيين اللذان صارا بطاركة

(١) لم يتردَّد البطريرك مكاريوس في هذا اذ قال : في ايام اغناطيوس اتى الملك الظاهر بيبرس البندقداري من مصر بغتة في سبعة عشر يوماً وفتح انطاكية وسبى اهلها وفرَّقهم في سائر البلاد وهدم المدينة وازال محاسنها ومبانيها سنة ٦٦٦ الى ان قال ثم ان رؤساء كهنة ابرشية انطاكية عملوا مجمعاً ونقلوا البطركية من انطاكية الى دمشق لانها ام بلاد الشام وكانت وقتئذٍ كل ابرشيتها نصارى وكان حولها فقط سبعة رؤساء كهنة وهم مطران حوران

بانطاكية لما فتحها فرنج الفرنساوية . في سنة الف ومايتين وسبعة واربعين للتجسد الالهي . وسنة ٦٧٥٥ للعالم . وبعد هولاء لما فتح المسلمون مدينة انطاكية ايضاً كما تخبر تواريخ الكنيسة التي استخرجناها من اللغة اللاتينية ما عُرف من البطاركة الذين عادوا صاروا عليها غير اربعة وهم ثاودوروس فلصامون الذي يخبر عنه كتاب ناموس بالرومي انه كان شماساً وحافظ كتب اجيا صوفيا الكنيسة العظمى في القسطنطينية وبعد مدة انتخبوه وشرطنوه بطريركاً على مدينة الله انطاكية العظمى ويواكيم واياروثاوس واثناسيوس (١) ومن بعد هولا ما عدنا وقفنا لبطاركة انطاكية على

وبعلبك والزبداني وصيدنايا ومعلولا ويبرود وقارا وكان لهم رعية لا تحصى .

(١) يوهم كلام الشماس بولس ان هؤلاء البطاركة كانوا بعد فتح انطاكية من الملك الظاهر وقد ذكرهم بغير ترتيب لانه لم يكن على يقين من امرهم وحقيقة الواقع انهم كانوا على عهد الصليبين ويقيمون غالباً في القسطنطينية فان الاول منهم من اشهر العلماء اليونان بالحق القانوني في زمانه وله في هذا العلم مجموعة ذات شان كبير وكان يقيم في القسطنطينية ومات فيها سنة ١٢٠٢ قبل استيلاء الصليبين عليها . ويواكيم خلف بلصامون وكان يقيم في القسطنطينية الى ان فتحها الصليبيون سنة ١٢٠٤ فهرب الى نيقية واتى الى انطاكية واقام فيها الى سنة ١٢١٢ بحماية امير انطاكية Bohémond IV واياروثاوس خلف يواكيم وكان يقيم في نيقية مع مالك وبطريرك القسطنطينية ومات سنة ١٢٢٠ واثناسيوس كان حقه ان يكون الاول لانه كان قبل بلصامون وكان مقيماً في القسطنطينية واتى الى انطاكية وبارك فيها في عيد الميلاد سنة ١١٦١ اكليل ملك الروم عمانوئيل على مريم اخت امير انطاكية Bohémond III وبقي في انطاكية الى سنة ١١٧٠ اذ وقعت زلزلة عظيمة في انطاكية هدمت كنيسة

تاريخ لا في كتب التواريخ الافرنجية ولا في الرومية ولا العربية وكان انتهاؤهم ايام فتوح الملك الظاهر لمدينة انطاكية كما ذكرنا . ومن ذلك الحين عدمت اخبارهم بالكلية لعدم ظهور مورخ جديد يتبع تواريخ علماء الملة المسيحية وكل ذلك لكثرة الهم والغم واليسر (الاسر) والضيق الذي اصاب بني المعمودية . غير اني رايت في اخر كتاب قديم وهو الحاوي الكبير من كتب قارا بخط الراهب بيمين بدمشق وانه اكمله في ١٨ نيسان سنة ٦٧٢٤ لادم (١٢١٦م) الموافق لسلخ ذي الحجة سنة ٦٠٤ لسني العرب في ايام البطريرك الكبير انبا سمعان الانطاكي [1]

القديس بطرس عليه وعلى من كانوا فيها معه يوم عيده في ٢٩ حزيران وقد رفع من تحت الردم حياً مهشم الجسم بالجراح

(١) يوجد في مكتبة الواتيكان كتاب خط قديم في عدد ٧٩ يتضمن تاليف القديس يوحنا الدمشقي كتب بخط يد بيمين المذكور وقد علق على الكتاب المذكور حواشي ذات شأن منها « كتبه ابو الكرم ابن غنائم ابن ابرهيم الراهب بيمين السيقي بمدينة دمشق بكنيسة السيدة في ايام يوحنا مطرانها وبطركها سمعان ابن ابو شيبة وكان الفراغ منه في العشرة الاخيرة من اذار سنة ٦٧٣١ (١٢٢٣ م) وقد اشتراه البطريرك الانطاكي مخائيل في تموز سنة ٦٧٣٧ للعالم (١٢٢٩ م)

وكتب في اوله على الورقة الثامنة « اوقف هذا الكتاب الشماس عيسى للسيد المرحوم مخائيل البطريرك الانطاكي تغمده الله بالرحمة على كنيسة كبريانوس ويوستينة في دمشق في ١٠ تشرين سنة ٦٨٩٣ (١٣٨٤ م)

وتجددت بعض اوراقه من اوله فكتب ناسخها « تجددت هذه الكتابة بيد الخوري جريس ابن سلسل ابن عبد المسيح ابن الخوري سليمان من اهالي

هذا ما تيسر لي جمعه من كتب تواريخ الكنيسة ومما وجدناه في كتبنا وتواريخ اللاتينيين وجمعت ذلك جميعه على بعضه وجملته كتاباً بمفردهِ لينتفع به كل من يقصده لانه لا يسعني هنا حصره لئلا نخرج عن المقصود فيما نحن بصددهِ

واما اول من وقف بطريركاً بمدينة دمشق الشام فاني قد رأيت في بعض كتب قلاية البطركية كتاباً قديماً جداً تاريخاً بخط المرحوم البطريرك ميخائيل يقول فيه هكذا « بدء ما استقرت البطاركة بدمشق المحروسة . انه لما توفي البطريرك اغناطيوس في قبرص استقر بعده نجوميوس مطران دمشق بطريركاً مدة سنتين وعزلوه » فعلى ما يلوح انه لما تيسر للملك الظاهر الفتوح فرّ المرحوم اغناطيوس من انطاكية بعد فتحها الى قبرص وبها توفي كما ذكر^(١)^ عود

دمشق جار كنيسة المريمية في رياسة البطريرك مكاريوس الحلبي ابن المرحوم الخوري بولس في ٤ حزيران سنة ٧١٥٦ للعالم (١٦٤٨ م)

(١) لا يصح ان يكون اغناطيوس قد فرّ من انطاكية عند خرابها من الملك الظاهر سنة ١٢٦٨ لانه كان حاضراً في المجمع الذي انعقد في القسطنطينية سنة ١٣٤١ ضد غريغوريوس بلاماس ويستفاد من الرسالة التي قرأها مطران صور باسمه في المجمع الذي انعقد سنة ١٣٥١ انه كان حياً الى ذلك الحين ونفي بعد ذلك من القسطنطينية بامر يوحنا كنتاكوزيني لرفضه قبول الاشتراك معه ومات في منفاه ولا يبعد ان يكون لجأ الى قبرص من جوره لائذاً بملك قبرص التي كانت حينئذٍ بيد الصليبيين وكانت آهلة بالروم الكاثوليك الذين هاجروا اليها من فلسطين والشام ولبنان مع الصليبيين والموارنة وغيرهم بعد استيلاء الملك الظاهر على هذه البلاد وهذا مطابق لتاريخ البطاركة الذين خلفوا

وصار بعد بخوميوس ميخائيل بطريركاً في سنة ٦٨٧٧ للعالم (١٣٦٩ م) واقام سبع سنين ومات في ١٧ اب سنة ٦٨٨١ لادم (١٣٧٣ م) [١]

واستقر بعده بخوميوس بطريركاً واقام سنتين وعزلوه ايضاً ثم حضر البطريرك مرقص من القسطنطينية الى دمشق واقام بها سنتين ومات في ١٠ نيسان سنة ٦٨٨٦ لادم (١٣٧٨ م)

وصار بعده بخوميوس بطريركاً وتوفي في ٩ كانون الاول في سنة ٦٨٩٥ لادم (١٣٨٦ م) [٢]

اغناطيوس مما ذكره مخائيل

(١) بسبب اعادة بخوميوس للبطريركية وتكرار ذكر اسمه وقع خلل واختلاف في النسخ التي وردت فيها عبارة البطريرك مخائيل فان ما نقلناه هنا مطابق تماماً لما في نسخة باريس ولما نقلته جريدة المحبة عن الترجمة الروسية وقد ورد في النسخة الحلبية « وصار بعد بخوميوس مخائيل بطريركاً سنة ٦٧٨٦ واقام سبع سنوات ومات في ١٧ آب سنة ٦٨٨١ » والظاهر ان الاختلاف الواقع في التاريخ الاول ناشئ عن غلط في رسم الارقام العددية ٧ و٨ منعكسة في النسخة الحلبية وكيفما كان الامر فلا يصح قوله : قام سبع سنوات والحق ان يقال اربع او خمس سنوات . وقد فات مخائيل بريك ذكر البطريرك مخائيل في كتابه وهو سهو لا محالة مع ورود ذكره في كلام بولس هنا وفي مخطوط الواتيكان وفيما نقله مكاريوس ايضاً

(٢) ما نقلناه هنا مطابق لما ورد في نسخة باريس وحلب والترجمة والمخطوطات الروسية ولبعض نسخ كتاب بريك بخلاف المطبوع منه فانه سقط شيء هنا من الاصل بيد الناسخ او الطابع فاختلط الكلام وتشوش المعنى . ولا يخفى ان

وصار بعده البطريرك نيكن (نيلس مصحفة) وتوفي في ٢١ كانون الثاني سنة ٦٩٠٣ لادم [١] ١٣٩٥ م)

واستقر بطريركا اخرهم ميخائيل ابن ميخائيل مطران بصرى في ٧ شباط يوم احد ابن الشاطر سنة ٦٩٠٣ بعد نياح نيكن بستة عشر يوماً وبعد نياح والده ميخائيل مطران بصرى بست سنين تنقص شهر وبعد نياح عمه ميخائيل بطريرك انطاكية باحدى وعشرين سنة ونصف وهو الكاتب لهذه الاخبار بخط يده وانه ابصر ما جرى في سنة تمرلنك (الذي) نهب بدلاته وعدة الكنيسة وماله . وهرب ميخائيل الى قبرص سنة ٨٠٣ للهجرة (١٤٠١ م) وكتب ذلك في ١٩ اب المبارك سنة ٦٩١٢ للعالم (١٤٠٤ م) . وقد نقلنا هذه التواريخ من نسخة بخط يده كما ذكرنا ومسطور بعدها بخط اخر عنه توفي في ٨ نيسان سنة . . . ووجدت في رسائل قديم في محروسة محرده وقفية بخط هذا المرحوم ميخائيل تاريخها مستهل كانون الاول سنة ٦٩٠٥ للعالم (١٣٩٦ م)

وصار بعده بطريركا بخوميوس الحوراني الذي كان مطراناً على حمص نهار الاحد اول شهر حزيران وتنيح نهار الاحد في ٩ تشرين الاول سنة ٦٩٢١ للعالم (١٤١٢ م)

بخوميوس مطران دمشق سابقاً عاد الى البطريركية بعد عزله ثلاث دفعات كما يستفاد من قوله « عاد وايضاً » في المتن ومن مراسلات دارت في هذا العهد بين مطارنة البطريركية الانطاكية والقسطنطينية وان شاء الله سننشر منها شيئاً في غير هذا المحل .

ووجدت في اخر كتاب قديم هكذا : في سنة ٦٩٣٥ للعالم (١٤٢٧ م) تنيح السيد البطريرك كير يواكيم الانطاكي

ووجدت في كتاب اخر غيره انه في سنة ٦٩٣٦ للعالم (١٤٢٨ م)

وكان على زمان كير يوسف بطريرك القسطنطينية وكير فلوثاوس بطريرك الاسكندرية وكير يواكيم بطريرك اورشليم في سنة ٦٩٤٣ للعالم (١٤٣٦ م) كان مدبر الكرسي الانطاكي كير ذوروثاوس الذي كان من صيدنايا المعمورة واسقفًا لها وفي حياته صار المجمع الثامن عند الافرنج في مدينة فلورنسا الذي كان حاضرًا فيه يوحنا ملك القسطنطينية لانها ما كانت بعد فُتحت من المسلمين وكير يوسف بطريرك القسطنطينية وكافة كهنته وانطونيوس مطران ايراكلية وكيل البطريرك الاسكندري كير فيلوثاوس . وايسدروس مطران كيوف وسائر بلاد الروس وكيل البطريرك الانطاكي كير ذوروثاوس المذكور وذوروثاوس مطران مونوفاسيه وكيل كير يواكيم بطريرك اورشليم وذلك في سنة ٦٩٤٨ للعالم الموافقة لسنة ١٤٤٨ للتجسد ولسنة ٨٤٣ للهجرة [١]

---

(١) كذا الاصل في جميع النسخ حتى المنقولة عن الشماس بولس وابيه الا ان المرحوم جرجي مرقص اصلح التاريخ المسيحي فقط اذ جعله سنة ١٤٤٠ وفات ذلك بريك وطابع كتابه مع ان صك الاتحاد الذي تلي في اخر جلسة من المجمع المذكور على ما هو مشهور ومقرر في تاريخ ٦ تموز سنة ١٤٣٩ مسيحية وهي سنة ٦٩٤٧ للعالم (٥ محرم سنة ٨٤٢ للهجرة) فهل في هذا التاريخ

فانتخب الجماعة بمدينة دمشق الشام بعده كير مرقس اسقف صيدنايا بطريركاً نهار الثلثا يوم عيد الصليب المقدس لاستقبال سنة ٦٩٦٠ للعالم (١٤٥١ م) وذلك بحضور السادة روساء الكهنة يواكيم مطران بصرى وكيرلس مطران بيروت ومرقص مطران الحصن ويوحنا مطران اوخائيطا وافرام مطران حماه وميخائيل اسقف الزبداني ويواكيم اسقف يبرود ومكاريوس اسقف قارا وارسانيوس

خطأ ؟

لا يسعنا ان ننسب للشماس بولس وابيه ولكل هذه النسخ الخطأ في هذا التاريخ الذي لامحالة نقلاه هكذا عن كتاب قديم يتضمن اعمال المجمع المذكور الذي نُشرت احكامه في البطريركية الانطاكية في السنة التالية لانحلاله وتاريخ الكتاب سنة ١٤٤٨ وهي التاسعة بعد انحلاله والدليل على ذلك ان البطريرك مكاريوس نفسه نقل عن هـذا الكتاب جملة طويلة في كتاب الدر المنظوم تاليف متى جيغالا القبرصي الذي عربه تحت مناظرته الخوري يوسف المصور الحلبي اوردها بعد كلامه عن المجمع الفلورنتيني. وسيادة الارشيمندريت كيرلس رزق وقف على نسخة منه في القدس الشريف يرى انها كتبت في القرن الخامس عشر وعندي نسخة منه كتبت في نفس دمشق قبل ارتقاء مكاريوس الى البطريركية بسبع سنين لعلها نقلت عن النسخة التي وقف عليها مكاريوس والشماس بولس اذا لم تكن تحت يدهِ نسختي هذه التي « كتبها الخوري صفرونيوس ابن موسى ابن الحاج سليمان الطرابلسي البتروني الاصل في محروسة دمشق في معلوش القيامة في سنة ٧١٤٨ للعالم (١٦٤٠ م) ولدى مقابلة تلخيص مكاريوس على ما جاء في الكتاب المذكور لم نجد فرقاً بينهما الا ما يقتضيه التلخيص بالحذف وان شاء الله تعالى نتوفق الى نشره في وقت قريب

ولا نرى حاجة لان ننبه هنا بان ورد اسم ذوروثاوس في تاريخ الطائفة محرفاً ونقل هذا التحريف كل من نقل عنه وكذا ورد في كتاب القائد الامين



أسقف عكار وجعلوا اسمه في البطركية مخائيل[1]

---

(١) مدح التختيكون صلاح وعلم هذا البطريرك وغيرته في سبيل نشر الايمان الكاثوليكي في ابرشيته الانطاكية وسواها اذ سعى لدى البطريرك الاسكندري والارشليمي ليرسلا صورة اعترافهما ويعلنا اتحادهما مع الكرسي الروماني ونجح بذلك اذ ارسل شماسه الارشيدياكون الانطاكي موسى جبلات مصحوباً برسائلهم ومفوضاً منهم بتقرير ذلك لدى البابا بيوس الثاني وهذه الرسائل لم تزل محفوظة بخطوط ايدي البطاركة الثلاثة مع عريضة او خطاب بامضاء الارشيدياكون موسى بالعربية في الخزانة الرابعة من سجلات الواتيكان باسم البابا المذكور وهذه صورتها نقلناها سنة ١٩٠١ عن الاصل . « ان الله الذي اشرق من الظلمة نوراً اشرقه في قلوبنا لاستنارة معرفة مجد الله وفي اخر الايام اي تمام الناموس العتيق الفي في طورسينا خاطبنا بابنه لاجل خلاصنا حسبما قال ان الراعي الصالح يهتم برعيته ويعتني بها فلذلك اراق دمه الطاهر لاجلنا وبسط يديه على الصليب ليجمعنا من ظلمة الخطية ودعانا بني النور وجعلنا مستحقين الملك السماري واعطانا الناموس الجديد البارز من صهيون بالمحبة الروحانية وفي هذه الايام الاخيرة اي اخر ايام البغضة التي زرعها عدونا ضمنا وجمع شملنا وصرنا الى ما كنا عليه من القديم حسبما سبق في علمه ان هذه النعمة التي تسر بها السماوات والارض التي اشتهى كثيرون من المتقدمين ان يروها وما استحقوا ذلك فانها تصير على ايام الاب السيد المختار من الله البابا بيوس الثاني ادام الرب ايامه وهذه وصية سيدنا يسوع المسيح ان تصير محبة واحدة فلاجل ذلك بصلاته وبركته كملت اليوم هذه النعمة الروحانية وحضرت انا الحقير لقدسه رحمة من الله تعالى لتكميل هذا الخير على ايامه وانا العبد الذليل الغير مستحق ان اذكر بين العالم موسى جبلات ارشيدياكون مدينة الله انطاكية العظمى رسول السادة البطاركة ونائبهم اقول بين اياديك المقدسة ايها الصالح السيد البابا ادام الرب رياستك وبين السادات الكرادلة ورؤساء الكهنة والكهنة والشعب المسيحي الحاضر في هذا المجمع المقدس

نيابة عن السادة البطاركة حسبما اقاموا التلميذ وكيل ونائب مثلما تنظر قدسك في كتبهم المثبتة بالشهادات وخطوطهم المكتتبة بالافرنجي لاجل اثبات ذلك من السادة وهم السيد مرقص الاسكندري وكير ميخائيل الانطاكي وكير يواكيم الاورشليمي واني حسبما هو محرر لي منهم قرأت نيابة عنهم في هذا النهار المحضر المقدس الذي صار على ايام المختار الصالح البابا اوجانيوس الرابع في مدينة فلورنسا بين الافرنج والروم اهل الكنيسة الشرقية والغربية وفهمت مضمونه حرف حرف وانا اثبت واكمل وراضي بوصاياه وما ثبت فيه وما سن فيه وما شرع فيه بين الكنيستين من المحبة حسب الشريعة الابوسطولية ومانع من لا يقبلها وبذلك اقر واشهد على نفسي نيابة عن السادة البطاركة حسبما اقاموني وانا اسال الله الاب والابن والروح القدس ان يجزي باغض الخيرات ويديم هذه المحبة الى الابد بصلاتك المقدسة وحسبما ارمى المحبة كذلك يجعل خلاص رعيته واماكنه المقدسة ويقهر اعداء الثالوث وسائر الشاقين مثلما نجز هذا في ايامك وعلى يديك ايضاً والسبح لله دائماً

تاريخ نهار الاثنين احد عشر نيسان سنة ١٤٥٩ — العبد الذليل موسى جبلات المذكور اعلاه ارشيدياكون انطاكية خادم السيد البابا بيوس الثاني ادام الله ايامه

وقد ذكر هذا الحادث مورخون كثيرون نقلًا عن الافرنج ولذلك وقع تحريف باسم الشماس والبابا وتاريخه فان اقرار الشماس كان في مدينة سيانا Sienna اذ قابل فيها البابا المذكور قبل ذهابه الى مدينة مانطوا Mantoua للاجتماع بالملوك المسيحيين للاهتمام بامر الشرقيين لا بعودته منها كما ذكر البعض .

وقد ذكر التختيكون خلفاً لميخائيل المذكور الارشيدياكون موسى ذاته باسم ثاودوروس الذي مات سنة ١٤٦٥ وذكر انه نقل الى السرياني الافخولوجيون اليوناني وكذلك ذكر خلفاً لثاودوروس البطريرك ميخائيل الذي يدعوه الرابع

الكرسي الانطاكي كير ذوروثاوس ابن الصابوني[1]

وفي سنة ٧٠٣٢ للعالم (١٥٢٤م) كان مدبر الكرسي الانطاكي كير مخائيل ابن الماوردي[2]

وفي سنة ٧٠٣٩ للعالم (١٥٣١م) كان مدبر الكرسي الانطاكي

---

(١) يوجد انجيل عربي مخطوط في مكتبة القبر المقدس في عدد ١١ كتب سنة ٧٠٠٨ لادم (١٥٠٠م) في ايام البطريرك ذوروثاوس الانطاكي .

(٢) يظهر ان هذا البطريرك قد جلس قبل التاريخ المذكور فانه يوجد في مكتبة باريس كتاب قديم عربي في عدد ١٤٧ من مخطوطاتها نظر فيه مكاريوس اسقف قارا . والبطريرك مخائيل الانطاكي في ١٩ اذار ٧٠٣٠ للعالم (١٥٢٢م) وفي خزانة كتب لندرا مخطوط سرياني بعدد ٤١٨ نظر فيه وكتب اسمه المختار من الله مخائيل بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق في ١٠ تشرين الثاني سنة ٧٠٤٢ للعالم (١٥٣٣م) وكان حياً سنة الخلف ٧٠٤٧ للعالم كما يظهر من كلام الشماس بولس ومن كلام والده ومن كتاب مخطوط قديم في حمص وجده حضرة الاب لويس شيخو ونقل عنه في المشرق (٥: ٩٥١) انه في سنة ٧٠٤٧ للعالم (١٥٣٩م) وقع الخلاف بين جماعة الملكية وجماعة الطوائف الاراطقة بسبب عيد الفصح المجيد لان جماعة الملكية المستقيمين الامانة عيدوا في ٦ نيسان وظهر لهم الحق العظيم واما جماعة طوائف الاراطقة فانه كان على كنيسة القدس امينٌ اسمه النقاش جماعة الاراطقة برطلوه بالف دينار فاشعل للطوائف من القنديل (القنديل الذي يقال اليوم انه منه يفيض النور) وكاتب الاحرف لما اجتمع في قارا بسبب العيد وكان سبب المجمع ان الاب السيد البطريرك مخائيل الانطاكي والاسقف يوحنا اسقف يبرود واسقف صيدنايا ومطران بعلبك واسقف الزبداني ومن جميع البلاد وخوارنة وقسوس وشمامسة من جميع النورية الانطاكية اجتمعوا الى عند السيد البطريرك . . .

***

البطريرك ذوروثاوس وعزل بمجمع صار في اورشليم لاجل امور جرت منه وجنايات وعملوا عوضه كير يواكيم بطريركاً وكان ذلك على زمان كير ارميا القسطنطيني وكير يواكيم الاسكندري وكير جرمانوس الاورشليمي الذين عملوا اجمعاً عليه اذ كانوا زائرين اورشليم[١]

وفي سنة ٧٠٦٢ للعالم (١٥٥٤م) كان مدبر الكرسي الانطاكي

(١) الظاهر ان ذوروثاوس المذكور هنا في غير محله كما يدل عليه كلام الشماس بان يواكيم ابن جمعة خلف لمخائيل ابن الماوردي سنة ٧٠٥١ للعالم وكما تقرر في الحاشية السابقة وعندي انه نفس ذوروثاوس ابن الصابوني السابق الذكر وقد ذكره المولف هنا غلطاً اذ لم يتحقق قراءة تاريخ السنة في اعلان الحكم عليه بالعزل الذي كانت صورته القديمة لديه كما يذكر مكاريوس والدهاذ قال « وصار بعده (اي ذوروثاوس) مخائيل الرابع الشهير بابن الماوردي بطريركاً على انطاكية واقام في البطركية ١٧ سنة وتنيح سنة ٧٠٤٩ للعالم وصار بعده ذوروثاوس الثالث واقام في البطركية ثلاث سنين ولما خرج من دمشق ليزور الابرشية وبلغ الى قرية داريا التي في ناحية الزاوية في بلاد طرابلس اجتمع هناك مع بطرس بطرك الموارنة وعمل الموارنة معه اتفاقاً بانهم يكونوا شيأ واحداً وكهنة الروم يقضوا للموارنة مهما كان لهم من امور الدين ويباركونهم ويتزوجون من بعضهم بعض وكهنة الموارنة يقضون للروم كل احتياجاتهم في امور الدين وكل طائفة تكون على اعتقادها القديم كما نظرنا ذلك مشروحاً في الصحيفة التي كتبها هذا البطريرك وهي موجودة عندنا في قلاية مطرانية حلب ملصوق عليها رسالة يواكيم بطريرك الاسكندرية بخط يده بالعربي لانه كان من اولاد العرب يقطعه من كهنوته وفي هذه السنة حضر ارميا بطريرك القسطنطينية الى اورشليم ويواكيم المذكور واقاموا عليه مجمعاً مع بطريركها جرمانوس لاجل هذه العلة وجنايات غيرها وعزلوه وشرطنوا عوضه يواكيم سنة ٧٠٤١ للعالم وفي نسخة سنة ٧٠٤٢ »

فلا يُعقل ان يكون قد عزل هذا سنة ٧٠٤١ وسلفه مخائيل قد تنيح

كير يواكيم وقد اخبرونا عنه اخباراً في بلاد المسيحيين انه اقام في البطركية سبعين سنة [1]

سنة ٧٠٤٩ على قول مكاريوس نفسه كما مر ويقضي انه كان ملتبساً على مكاريوس ابنه هذا التاريخ في هذه الصحيفة وعندي انه يجب ان يكون ٧٠٢٩ لا ٧٠٣٩ لقرب مشابهة صورة خط هذين الرقمين ٢و٣ ومما يحقق هذا عدا ما قلناه عن ذوروثاوس ابن الصابوني ان ليس في سلسلة بطاركة الموارنة باسم بطرس الا بطرس الثاني المعروف بابن حسان الذي مات سنة ١٤٩٢ وقد نال التثبيت من البابا بولس الثاني على يد قاصده الاب غريفون الشهير وبالتالي كان في اخر بطركيته معاصراً لابن الصابوني . وفيما ذكر دليل واضح على ان ذوروثاوس كان كاثوليكياً مجاهراً لان اتفاقه مع بطرك الموارنة واساقفته خطأً ومشاركته لهم في امور الدين في ذلك العهد لايدع للشك مجالاً بهذا بعد قول مكاريوس: اقاموا عليه مجمعاً لاجل هذه العلة ومعلوم من تاريخ بطاركة القسطنطينية ان ارميا الاول (١٥٢٢—١٥٤٥) زار اورشليم في اول بطركيته سنة ١٥٢٦ اذ استولى على كرسي البطركية في غيابه بفرمان سلطاني البطريرك يوانيكوس واسترجعها منه ارميا بعد ان دفع ٥٠٠ ذهب . فاذاً هو ذروثاوس هذا هو نفس ابن الماوردي

وهذا الحادث له صدى في تاريخ العلامة الدويهي اذ كتب في صفحة ١٦٥ «ولما كان مطران الملكية قد طمع على رعية الموارنة في بلاد عرقة وعكار واستبد بمداخيلها سبع سنين حصّل (البطريرك موسى) امراً من القاضي واستبد بمداخيل رعية الملكية في تلك الناحية سبع سنين» اي بعد موت البطريرك المذكور لبث مطران عرقة وعكار يمارس ما كان له ويستولي على مداخيل الرعية من الموارنة كانهم من طائفته باوقت الذي لم يسمح لمطران او لبطارك الموارنة ان يمارس هذا مع الملكية الذين كانوا في بلاد الزاوية .

(١) لم يستطع الشماس بولس ان يفرق بين يواكيم بطريرك الاسكندرية الذي قضى سبعين سنة في البطركية في ذلك العهد وبين يواكيم ضو الذي سافر

الى هنا انتهت اخبار البطاركة المرحومين الذين صاروا في مدينة دمشق الشام وبتعب جزيل حصلت على اخبارهم مما تيسر جمعه بمعونة الله فمن وجد ايضًا خبراً لهم بعدنا والحقه بمجموعنا هذا يكونوا له شفعاء دنيا واخرة . ويتبع هذا بقية اخبار البطاركة وهو مجموع على النسق يتبع بعضهم بعض حسبما تحرر وكما وجدناه وبالله المستعان ومن سيدتنا مريم البتول نستمد التوفيق باستحقاقات آلام ابنها الوحيد سيدنا يسوع المسيح امين

في سنة ٧٠٥١ للعالم (١٥٤٣ م) تنيح البطريرك الانطاكي مخائيل الذي كان قد مضى الى زيارة اورشليم سنة الخلف بين الطوائف المسيحيين سنة ٧٠٤٧ للعالم (١٥٣٩ م) وصار عوضًا عنه كير يواكيم مطران بيروت الشهير بابن جمعة الذي اقام مطرانًا في بيروت احدى عشرة سنة وفي زمانه عمل مجمعًا مقدسًا مكانيًا جمع فيه كل روساء

الى الروسية كما سيأتي وبين يواكيم ابن جمعة الذي كان بطريركاً منذ سنة ١٥٤٣ لان المؤلف على ما يظهر من كلامه ان ما ذكره من هذا التاريخ الى يواكيم ابن جمعة قد جمعه بتعب جزيل من كتب ومخطوطات مختلفة الفها حتى جاءت على هذه الصورة وربما كانت هذه الحلقات ناقصة في بعض المواضع وفي غيرها لا رابط لها لكن لا يضر هذا بفضل المولف بل هو دليل ساطع على اجتهاده وجزيل فضله الذي لا يخفى على من عانى البحث في هذا الامر بخلاف ما سيذكره فيما بعد فانه وجده مجموعاً على نسق متتابع يصح الاعتماد عليه فضلًا عن انه كان يكتب تحت نظر والده الذي كان معاصراً لبعض البطاركة الذين ورد ذكرهم في تاريخه

كهنته وذلك لاجل ترويج بنات المسيحيين وتعيين المهر والنقد والاملاك وغير ذلك وحدّدوا فيه ذلك وحرموا من يخالف ما سنّوه وكتب ذلك على عتبة باب كنيسة القديسين كبريانوس ويوستينة الكبرى القديمة [١] واحضر من الثلاث البطاركة حرومات تثبيتاً لقوله وكان رجلاً فاضلاً واقام في البطريركية ثلاث وثلاثين سنة وكان قد صار بينه وبين ابن هلال اسقف قارا نزاع لاجل البطركية وتنيح ابن هلال المذكور [٢] قبل ابن جمعة ثم تنيح هذا في سنة ٧٠٨٤ للعالم (١٥٧٦ م) ودفن في دمشق [٣]

وصير عوضاً عنه مكاريوس الحموي اسقف اوخانيطا [٤] وسمي

(١) كنيسة كبريانوس ويوستينه انضمت الى الكنيسة المريمة وكذلك كنيسة القديس نقولاوس التي كانت مدفن البطاركة القديم

(٢) مكاريوس ابن هلال الدمشقي اسقف قارا زاحم ابن جمعة على البطركية ونازعه مدة سبع سنين في اول بطريركيته الى ان مرض ابن هلال فصالح البطريرك واستغفر منه ومات . وهو غير مكاريوس ابن حبيب اسقف قارا المذكور سابقاً سنة ١٤٥١ وله ولاولاده (لانه كان مزوجاً قبل قبوله الكهنوت) ترجمات ومخطوطات سريانية كثيرة في مكتبة برلين عدد ٣٠٩ — ٣٢٠ .

(٣) ورد في التختيكون انه مات سنة ١٥٨٠ والصواب ما ذكره بولس وما ذكره البطريرك مخائيل بخط يده على ما سنذكره في الحاشية التالية

(٤) اوخانيطا من مدن سوريا القديمة باليونانية واسمها الحديث حناك ذكرها مكاريوس الحلبي انها قرب معرة حلب وكان تابعاً لها محردة ومعلتا وافيون والبيا وبسارين ونقل عن احد كهنة حماة الشيوخ انه كان على زمانه في محردة اربعة الاف انسان وكان فيها يقيم مطران اوخانيطا واخر الاساقفة

مخائيل واقام في البطركية اربع سنوات وعزل لاجل شرور عرضت بسببه وبقيت الفتن والشرور بين المسيحيين مدة سنة [1]

الذين تشرطنوا على هذا الكرسي ملاشيا الذي مات في حلب بحضور كهنة حلب الذين كان فيهم الخوري بولس والد مكاريوس قبل سنة ١٥٩٧ التي فيها قسم هذه الابرشية البطريرك ابن زيادة بين مطران حمص ومطران حماة .

(١) كان البطريرك المذكور مخائيل بن عيسى الصباغ من حماة حسن الخط باليوناني والعربي كما يظهر من كتاب القداس المحفوظ في عدد ٤٧ من مخطوطات مكتبة الواتيكان العربية كتبه سنة ٧٠٩٠ للعالم (١٥٨٢ م) لسادس سنة من بطركيته وهو في حلب باسم الخوري عبد المسيح بن فضيل اخي مطران حلب غريغوريوس وله في هذه المكتبة في عدد ٥٤ كتاب الافخولوجيون باليوناني والعربي نظير الاول وكتب فيه نسبه الذي نقلناه . وقد روى البطريرك اثناسيوس كيفية انتخاب مخائيل للبطركية في تاريخ له باليونانية قال ان الاساقفة والاكليروس والشعب في دمشق فوضوا باتفاق تام لاسقف اوخائيطا المذكور ولغريغوريوس فضيل اسقف حلب ولذوروثاوس ابن ضو اسقف طرابلس ان يختاروا واحداً منهم يتفقون عليه واذ كان المتقدم فيهم اسقف حلب وكان اهله عنده في حلب اخذ ورقة وكتب فيها اني اخترت بطريركاً اسقف اوخائيطا وامضاها فلما راى هذا مطران طرابلس جاراه ومن ثم انتخب بطريركاً اسقف اوخائيطا باتفاق تام وسرور عام

وقال في بيان سبب عزله انه وقعت عداوة بينه وبين قوم من دمشق فاتهموه زوراً بقبيح ورفعوه الى القاضي واشهدوا عليه احد تلاميذه حتى اوجبوا عليه السقوط من الكهنوت بواسطة بعض الاساقفة واستكتبوه صكاً تنازل فيه عن البطريركية امضاه وخرج الى حماة وطنه ولما اشتهر امره وبلغ اسقف حلب المذكور جاء اليه ولامه على نزوله وتركه البطريركية بغير حق ولا مجمع فندم مخائيل وعمل مجمعاً في حماة من روساء الكهنة والكهنة من اتباعه

وصُيِّرَ عوضه بطريركاً ذوروثاوس الملقب بضو مطران طرابلس

وحرم الدمشقيين الذين انتدبوا ابن ضو مطران طرابلس وجعلوه بطريركاً في دمشق وهذا ايضاً عمل قداساً هناك مع روساء كهنته وكهنتهِ وحرموا مخائيل واتباعه لان الرعية انقسمت الى حزبين وصار شقاق عظيم وغرامات اموال لا تحصى بسبب هذا حتى خرج البعض من الايمان بسبب ما نزل بهم من البلاء وقتل غيرهم ومخائيل اقام اسقف حلب وكيلاً عنه في البلاد التي كانت تحت طاعته والبسه الصاكون ولم يكن اسقف حلب يلبسه من قبل (كان الصاكون مختصاً بالبطاركة وكبار المطارنة او روساء الاساقفة فقط دون الاساقفة الذين كانوا يلبسون الافلونية في ذلك العهد وهي التي يلبسها اليوم الكهنة) وسار الى القسطنطينية حيث عقد له البطريرك ارميا الثاني القسطنطيني مجمعاً حكم له بحق البطركية واخرج له فرماناً سلطانياً بذلك وعاد مخائيل الى دمشق معززاً بهذا مع قبجي سلطاني فتعاظم الشر وتفاقم بمعاضدة وزير الشام ليواكيم حتى عاد مخائيل الى القسطنطينية حزيناً على غير جدوى وقد اشير عليه ان يلازم اوخانيطا ومات في البحر ودفن في رودس وقد اقر الشماس بعد ذلك حين حضرته ساعة الموت امام البطريرك يواكيم انه شهد زوراً على مخائيل لحرمه الحرم الكبير ومات مغضوباً عليه لانه كان بشهادته الزورية سبباً لفضيحة البطريرك والخسائر وفتن عظيمة

وفي سنة ١٥٨٣ ارسل البابا غريغوريوس الثالث عشر الى الشرق قاصداً ليوناردو اسقف صيدا لتجديد الاتحاد ونشر الحساب الجديد المعروف باسمه بين البطاركة الشرقيين فبعد ان قضى القاصد المذكور ثلث سنين في اعمال قصادته عاد الى رومية وقدم للبابا سيكستوس الخامس تقريراً نقل فيه خبر اعمال قصادته وقد طبع هذا التقرير بالايطاليانية مراراً ونقل الى الفرنساوية وغيرها ويستفاد منه انه بعد ان قابل القاصد صفرونيوس بطريرك اورشليم ذهب لمقابلة البطريرك الانطاكي يواكيم ووجده في قرية عيتا من البقاع فاراً

من وجه وزير دمشق الذي كان يصادره بمبلغ من المال بسبب الفتنة القائمة بينه وبين البطريرك مخائيل وهناك سلمه رسالة البابا ورسالة الكردينال سنتاسفيرينو الحامي عن اليونان وكلمه ملياً بشان تجديد الاتحاد الذي صار في مجمع فاورنسا ونشر الحساب الجديد فاجابه البطريرك على ذلك بالرضى والقبول لكنه وعده بانجازه في اجتماع اخر في طرابلس بعد ان يخابر البطريرك الاسكندري معلمه الا انه لم يقدر ان ينجز وعده اذ سافر راساً من صيدا الى القسطنطينية خوفاً من مصادرة جعفر باشا طرابلس له بسبب الفتنة القائمة حينئذٍ ومن ثم كتب بايعازه اعيان طرابلس رسالة الى البابا في ٢٦ ايلول سنة ١٥٨٤ ارسلوها لهُ مع القاصد المذكور وقد ضمنوها ما استطاعوا من ادلة التعظيم والخضوع له والمديح لقاصده وضيق ذات يد البطريرك وحاله ويعتذرون له عنه بعدم انجاز وعده بالاجتماع مع قاصده في طرابلس وقد نشر هذه الرسالة حضرة الاب انطون رباط اليسوعي في مجلة المشرق (٩ : ٣٥٧) ننقلها هنا لما لها من الاهمية :

الى حضرت اب الاباء ورئيس الروساء وراعي الرعاة الاب الاقدس والاناء المقدس الاب البابا السيد اغريغوريس الثالث عشر باسمه المقدس خادم كرسي بطرس الرسول ادام الله رياسته وثبت كرسي قداسته امين

يقبل الارض لدى اليدين الطاهرة والقدمين الفاخرة بعد طرح مطانيات عدة لقدس الاب الالهاني والفاضل الروحاني المعلم بالبيان الناهي عن العصيان الذي اذا اقتادت به العقول فازت وان كرمته اصابت وما خابت ينبوع العدل والعفاف ومعدن التقى والبركات فريد دهره وزمانه واثارة عصره واوانه حجر الماس الخالص من الادناس حجر المغناطيس الهادم العالميات والمشتت للشياطين بالبينات الملاك الروحاني النوراني والانسان الجسداني خادم المسيح وكارز الانجيل المستحق لكل تاهيل تاج بني المعمودية فخر الملة المسيحية بحر العلوم

صورته وعاد واقام في البطركية اثني عشر سنة وكان المرحوم

سلوة كل مهموم ثالث عشر الزمرة الابسطولية خامس الصفوة الانجيلية اب الاباء ثاني القديس مار سابا رئيس الروساء المشابه ليوحنا في رحمته ولاغريغوريس في علمه وفصاحته ولالياس النبي في غيرته الاب الاقدس والاناء المقدس خلف بطرس الرسول السيد البابا الروماني ادام الله تعالى تاييده وانسه وثبت كرسي قدسه ورحم ضعف التلميذ و كافة الشعب المسيحي ببركات صلواته وسبحات طلباته واحياه لاصلاح شان رعيته الحافظين لاوامر طاعته .

التلميذ ينهي ان موجب التجاسر بها على محل قدسه هو كثرة الشوق ومزيد التوق الى مشاهدة الايقونة الطاهرة وفوز بركته المقدسة وسلامة ذاته ومزاجه والرب يجعلها سلامة دائمة على ممر الزمان ويويد التلميذ ببركة صلواته المقدسة امين

والذي يطالع به قدس سيدنا هو ان الاب الاقدس والاناء المقدس ابينا وسيدنا كير دوناردو اسقف صيدونيا خبرنا عن جميع احسان قدسكم وحنوكم ومراحمكم والخير الذي تفعلوه مع ساير الطوائف المسيحيين وبالاكثر لطايفتنا عبيدك الملكية وحمدنا الله تعالى وتزايد شكرنا له على ما انعم علينا في زماننا هذا ببركة قدسك ورافتك على ساير الشعب المسيحي وبعده سافر من عندنا الاب السيد كير دونلردو المشار اليه من طرابلس الى حلب ثم رجع الى مدينة الشام واجتمع مع سيدنا وبطركنا كير يواكيم البطريرك الانطاكي بطريرك الملكية في قرية من قرا الشام تدعى عيتا واتفق معه ان يجتمع عندنا في طرابلس في بيت الحقير تلميذكم وكان الاتفاق بين سيدنا البطريرك يواكيم وبين كير دونلردو ان يكون تمام المحبة والطاعة الى الكرسي البطرسي الروماني على ما رتبوه الاباء القديسين الثلاثماية وثمان عشر في مدينة نيقية وايضاً على ما رتبوه الاباء القديسين في مدينة فرنسيا وعلى ان الاتحاد يكون واحد والامانة واحدة وهي الامانة المستقيمة الكاثوليكية الارثودكسية تكون واحدة

والمحبة واحدة . وايضاً خبرنا عن سبب القاعدة الجديدة التي صارت في كنيسة روما المقدسة وهي قاعدة الاعياد والمواسم تكون عند جميع الطوائف

ولكن ما قسم نصيب في الاجتماع في هذه المدة لكون ان سيدنا البطريرك كير يواكيم بطركنا صار عليه مرض كثير وخصر خصاير كثير وتدين مبلغ له صورة وليس له قدرة على وفاء دينه وخشي من اصحاب الديون لا يحبسوه فما قدر يحضر الى طرابلس فنزل في البحر وسافر الى مدينة القسطنطينية الى عند بطرك القسطنطينية شكى حالته وضرورته الى اخوته الاساقفة والاراخنة والكهنة لعل يجمعوا له شي يوفي به دينه وعن قريب ان شاء الله تعالى يحضر الى عندنا ونتكلم معه ونتمم ما في خاطركم وما رسمتم به . وليس خافي عن قدسكم قضية بطرك استنبول كير ارميا كيف ابعدوه عن كرسيه واخذوه الى رودس واقاموا مكانه بطرك جديد في القسطنطينية وذكروا بعض ناس ان البطرك الجديد انسان مليح هذا ما سمعنا اعرضناه على قدسكم ونسال من الله ان يدبر ويعين ويصلح الامور وان شاء الله تعالى يرجع بطركنا مجبور الخاطر والذي في خاطركم يصير على اتم الوجوه بوجود قداستكم ومحبتكم كما ذكر لنا سيدنا الاسقف دونلردو عن قدسكم ومحبتكم والمشار اليه فيما رسمتم به كل يوم يحضر الى عندنا وزوح الى عنده ولا له فكر ولا شغل عندنا وعند المطارنه والاساقفة والكهنة الذي لنا الا تكميل الاتفاق والمحبة في استقامة الامانة الارثودكسية الكاثوليكية وهو داعي لقدسكم ومحبتكم وعنده اللطف والمحبة والقداسة والاستقامة وحافظاً لاوامركم . ونشكر الله ونحمده على ذلك ونسال من الله سبحانه تعالى وحنوه على شعبه ان يرجع سيدنا البطريرك يواكيم مجبور الخاطر قريب غير بعيد وتكمل المحبة

ونحن عبيد قدسكم سميعين مطيعين وخاضعين الى الكرسي البطرسي الرسولي والى قداستكم وبركتكم ولاجل اشهاد وبرهنة هذه العبودية كتبنا

رودس ودفن فيها ثم مضى البطريرك يواكيم المذكور الى بلاد

هذه الاسطر الحقيرة الى حضرتكم وبركتكم ومحبتكم ووضعنا خطوط ايدينا وختمنا حتى يطمئن خاطركم علينا ولا تنسونا من صالح دعاكم وبركتكم في عقيب صلواتكم المقدسة بعد طرح مطانيات عدة لدى قدسكم وتجديد تقبيل الاقدام الطاهرة مع استعراض خدمكم لنفوز بقضاها على الراس والعين والتلاميذ واقفين على قدم الطاعة لما تبرز به اوامركم المطاعة

سطر نهار الخميس سادس عشرين شهر ايلول المبارك سنة اربعة وثمانين مسيحية احسن الله تعالى عاقبتها الى خير وسلامة

وسطر الحروف تلميذكم وعبد بابكم المملوك وهبه وهو يقبل الارض تحت مواطئ اقدام قدسكم ويصف اشواقه الى مشاهدة ايقونتكم الطاهرة وسميع مطيع بما اشرتم به وما سطره اعلاه جعلكم الله ذخرًا دائمًا ومنهلا ومقصدا لكل وارد ويرزقنا بركتكم ونسال من قدسكم الدعاء والسلام على الدوام واستعراض خدمكم لنفوز بقضاها على الراس والعين

وحظر تسطيرها عبد بابكم المملوك فرح وهو يقبل الارض تحت مواطي اقدام قدسكم ويصف اشواقه الى مطالعة قدسكم وسميع مطيع بما اشرتم به وما سطر اعلاه

وحظر تسطيره تلميذكم وعبد بابكم المملوك فضل الله وهو يقبل تحت موطي اقدام قدسكم وهو سميع مطيع الى قدسكم وما سطر اعلاه

وحظر تسطيره تلميذكم وعبد بابكم سليمان ابن مرتية (؟) وهو يقبل تحت مواطي اقدام قدسكم وهو سميع مطيع الى قدسكم وما سطر اعلاه.

وحظر تسطيرها عبد بابكم المملوك مخائيل وهو يقبل الارض تحت مواطي اقدام قدسكم ويصف اشواقه الى مطالعة قدسكم وسميع بما اشرتم وما سطر اعلاد .

وحظر تسطيرها المملوك الاصغر والمحب الاكبر مملوككم وعبد بابكم

حوران وقتل فيها شهيداً وهناك دفن وبقي الكرسي بعده مدة

الحقير يوحنا ابن الياس النحوي وهو يقبل الارض تحت اقدامكم الطاهرة وهو سميع مطيع لقدسكم ولما سطر اعلاه وانتم في امان الله تعالى و . . . (؟) والحمد لله وحده

وحظر تسطيرها العبد الحقير الراجي عفو ربهِ القدير المملوك يوحنا ابن نصرالله وهو يقبل الارض تحت مواطي اقدام قدسكم ويصف اشواقه الى ايقونتكم المقدسة وهو سميع مطيع فيما اشرتم وما سطر اعلاه والحمد لله وحده .

انتهى

ومن طرابلس ذهب القاصد الى حلب حيث قابل البطريرك مخائيل وكلمه بشان ما ارسل لاجله فامضى البطريرك صورة اعترافه الكاثوليكي الذي اعلنه شفاهاً امام القاصد وكتب رسالة مطولة الى البابا سيكستوس يظهر فيها صحة ايمانه وخضوعه له ويشكو له عجزه عن الذهاب الى رومية ليبرهن له ذلك رأساً ويشكو من شدة الاضطهاد الذي ناله من مزاحمه واعوانه ولاسيما سعايتهم الزورية فيه لدى الحكام لايقاع الضرر به وبالرعية مع ضرر انفسهم وخسارتهم الاموال الغزيرة وكتب ايضاً رسالة بالمعنى ذاته الى الكردينال سنتاسفرينو ننشرها هنا لاول مرة عن اصلها المحفوظ في مكتبة الواتيكان في مجلد تضمن صور ورسائل بعض البطاركة الشرقيين التي ارسلوها مع القاصد المذكور وهي في عدد ٤٨ من المخطوطات العربية

المجد لله دائماً

لحضرة الاب الكردينال سنتاسافرينا وكيل ومدبر الشرقيين بمدينة رومة

اقبّل الطلعة الاقدسية الخاشعة الماسكية الناسكية العالمة العاملة فخر الملة المسيحية الاب الاقدس والاناء النير مدنس الاب الكردينال سنتاسافرينا وكيل ومدبر جميع الشرقيين بمدينة رومية العظمى ادام الرب الاله رياسته وسني حياته ويرحم ضعف الحقير بقبول صلواته امين الى غير ذلك

سنة كاملة بغير بطريرك الى ان شرطنوا كير يواكيم مطران حمص

بعد تقبيل الطلعة الاقدسية واهداء السلام الروحاني والوحشة الزائدة اليها قرّب الاله الاجتماع بها بخير وعافية وسلامة فانه على كل شي قدير . ليس يخافي عن محبة قدسكم حضور المحب الكامل العالم العامل المحقق المدقق فريد دهره ووحيد اهل زمانه وعصره الاسقف كير ليونارضو اسقف مدينة صيدا الى البلاد وانه انشا محبة وسلامة وصلحاً مثل الرسول بولس وكل ذلك لاجل اتضاعة ومنطقه الحلو ولاجل محبتهِ الزائدة آثر الحقير ان يصحبه مسافراً معه الى عند قدسكم ويشاهد طلعة قدس اب الاباء كير سيسطوس البابا الجزيل قدسه بمدينة رومية العظمى وقدسكم ايضاً . وما قطعنا عن السفر الا الضعف في مدينة حلب وشي من الشيخوخة وعدم القوة وشي من عدم قوة الباصرة ونرجو من الله ان يكون في العمر فسحة ويريد الله ان نحضر بين ايديكم ان شا الله تعالى وبركة صلواتكم امين

ونطالع قدسكم : لا تسال عما جرى على هذا الحقير من الامتحان والشدائد واخذني الروم مرتين (مقيداً) بشاويش وصار على الحقير شي ما صار على الشهدا ولكن الشهدا جرى عليهم من الملوك عباد الاصنام واما نحن صار علينا هذا من ابنا جنسنا وعشيرتنا من جماعة الروم وقدس الاخ الاسقف يعلم ذلك وفي مطالعة الاب البابا مسطر (محرر) ذلك وصبرنا على ذلك جميعهِ وقبلناه بشكر وشكرنا الله عليه ونحن اضعف عباده وفي التواريخ كما في شريف علمكم جرى على اباء وقديسين كانت اشباحهم تقيم الموتى وكل ذلك سمح الله به لاجل خطايانا وقلة محبتنا لبعضنا بعض وتعدينا على النواميس المقدسة اذ صارت البطركية والكهنوت ينباعوا بالمال ويوخذ عليهم الرشا ويا ليت ينباعوا من النصارى بل من الامة الغريبة وجميع ما كتبناه وعرفنا به قدسكم من تعدي النصارى ما هو قيراط من اربعة وعشرين ونعرف قدس الاب ان من عظم ما عملوا مع الحقير انه لم يعد يقدر

وهو ابن زيادة بطريركاً عوضه

واقام يواكيم في البطركية احدى عشرة سنة وفقد بصره وهذا الفاضل طبخ الميرون المقدس وكرّسه كالعادة نهار الاربعا الكبيرة [1] سنة ٧١٠٢ للعالم (١٥٩٤ م) الموافق لسنة ١٠٠٣ للهجرة الاسلامية ولما ان عمي كثر عليه الهياج في زمان الشيخ جرجس بن سمور فشرطن عوضاً منه كير ذوروثاوس بطريركاً وهو المعروف بابن الاحمر الدمشقي الذي كان قد شرطنه في حياته مطراناً على قلاية البطركية [2] ثم ان ابن زيادة ذهب الى مصر وتنيح ودفن في دير طورسينا واقام البطريرك ذوروثاوس في البطركية ثماني سنين وتنيح في قرية حاصبيا من وادي التيم ودفن فيها ٠

على القوت واللباس بشهادة الله ٠ بعد تقبيل طلعة قدس الاب ثالثاً وطلعة من يلوذ بالولاية والاماكن المعمورة والمحلات السعيدة ٠ زمان طويل (جملة دعائية ترجمة : Εἰς πολλὰ ἔτη) بشفاعة ستنا السيدة البتول والقديس مار بطرس الرسول صاحب الكرسي الروماني وجميع القديسين امين

سطر في تاريخ شهر ايار سنة ١٥٨٥ — الحقير البطريرك

(مكان الختم) — مخائيل

(١) كذا في الاصل والصحيح نهار الخميس اذ لا يتكرس الميرون الا في يوم خميس الاسرار على ما هو مشهور

(٢) احتال الشيخ جرجس سمور وكان عميد الطائفة في دمشق على البطريرك بعد ان عجز بفقد بصره ان يختار عبد العزيز ليرسمه شماساً وكاهناً ومطراناً على القلاية البطركية والرعية وكان المذكور ذا لياقة واهلية ففعل البطريرك لكنه اضطره الحال بعد قليل علـى ان يتفرغ له عن البطركية كلها وذهب

وصُيّر بعده اثناسيوس المدعو بابن الدباس الكبير الذي كان مطرانًا على حوران [1] واقام في البطركية ثمان سنين وصار في زمانه فتن وشرور كثيرة الى ان توفي في صيام الكبير بمحروسة طرابلس ودفن بدير كفتين خارجها

وصار بعده اخوه كيرلس مطران حوران ايضاً بطريركاً وتشرطن في مدينة طرابلس يوم احد السامرية وفي ذلك اليوم بعينهِ تشرطن اغناطيوس مطران صيدا المعروف بعطيه بطريركاً على انطاكية ايضاً في مدينة القسطنطينية من كير تيموثاوس من غير ان يعلموا بشرطونية ابن الدباس في طرابلس بطريركاً وجا اغناطيوس

الى دير طورسينا ليقضي حياته فيه بالانفراد التام ولما وصل الى مصر مات هناك فحمل الرهبان الذين في مصر جسمة ودفنوه في ديرهم الكبير في طورسينا (عن اثناسيوس الدباس)

(١) ورد حاشية في آخر كتاب الفردوس العقلي من مخطوطات مكتبة الواتيكان العربية في عدد ٤٠١ بخط يد عبد الكريم بن الخوري حوران الحموي الذي صار فيا بعد بطريركاً باسم افتيميوس كرمة معلم وسلف مكاريوس على ما ياتي ذكره وقد انجز كتابة الكتاب لما كان بعد راهباً في دير مار مخائيل في القدس الشريف سنة ٧١١٢ للعالم الموافقة لسنة ١٠١٢ للهجرة (١٦٠٤ م) وهذا نص الحاشية بخطه ايضاً : قبل تاريخه بثلاثة اشهر نزل البطريرك الانطاكي ابن زيادة عن البطركية بسبب عارض عرض له في عينيه وعملوا بدله بطرك ذوروثاوس بن الاحمر وفي تاريخه مات السلطان محمد بن مراد وعملوا بدله ابنه السلطان احمد وفي سنة ١٠٢٠ (١٦١١ م) توفي ابن الاحمر وعملوا بدله بطرك ابن الدباس اثناسيوس



الامير فخر الدين الثاني المعني

ولد سنة ١٥٧٢ م وحكم لبنان سنة ١٥٩٥ وقتل سنة ١٦٣٥ م

نقلت هذه الصورة عن كتاب ايطالي قديم

بطركاً الى دمشق وصار بينه وبين كيرلس المذكور فتن وشرور كثيرة متواترة وخسائر على المسيحيين كثيرة جزيلة مدة سبع سنين ولاجل ذلك قد اضطر الامر الى ان اجتمع كل روساء كهنة الابرشية الانطاكية الى عند الامير فخر الدين ابن معن حاكم تلك البلاد الشامية المشهور لاجل انه محب للمسيحيين جدّاً ويترثى لهم كثيرّا[1] وعملوا مجمعا باذنه في قرية الراس لينظروا في رايهما ويثبتوا

(١) الامير المذكور من اشهر حكام لبنان بل اعظمهم واوسعهم عدلاً واجملهم فضلًا على لبنان واهله وهو اول من ادخل اليه تمدن اوربا الحديث حتى صار ممتازّا بحكمه عما جاوره بالتقدم فلاحة وصناعة وتجارة وحرية واماناً ولاسيما المساواة بين سكانه من جميع الملل والمذاهب وقد قرب اليه النصارى واستعملهم في ديوانه وجنده فكان اغناطيوس كاتباً عنده قبل ان صار مطراناً وكان سندّا له مطراناً وبطريركاً ولما انعقد المجمع المشار اليه في راس بعلبك سنة ١٦٢٧ كان الامير يناظر اصلاح قلعة بعلبك وحصن اللبوة وكانت قد امتدت ولايته الى كل عربستان من حلب الى القدس مع الشام واتخذ لقب سلطان البر بموجب فرمان سلطاني فلا سبيل لان يستغرب القاري النجيب من مداخلته بامر المجمع لان كيرلس بعد ما طال خصامه لاغناطيوس والرعية في دمشق وحلب بالحبوس وتكبيدهم الخسائر الباهظة بفضل الفرمانات السلطانية التي كان يسعى له بها كيرلس لوكارس بطريرك القسطنطينية وبعد موت يوسف سيفا باشا طرابس الذي كان يعضده التمس من الامير ان يجتمع المطارنة ليحكموا فيما بينه وبين اغناطيوس ومن يختارونه منهما يكون البطريرك الشرعي ولكن لما عرف كيرلس انهم عازمون على خذلانه ابى الحضور الى المجمع فاغضب عمله الامير ولاسيما بعد تكرار مكاتبة المطارنة له بالحضور حتى امر باحضاره من دمشق مكبلًا ولما حضر وكان قد حكم المجمع بصحة بطركية اغناطيوس

المستقيم منهما وكان كيرلس يبتغي ذلك . فلما راسلوه ليحضر للمجمع لم يشا الحضور بينهم وكان قد خسّر المسيحيين بدمشق وغيرها اموالاً غزيرة فبقوة الامير المذكور ارسل احضره من دمشق قسراً وعملوا عليه مجمعاً اثبتوا فيه قطعة وافرازه وذلك بموجب ابواب أُوجبت عليه من الناموس المقدس ولاسيما لانه صار بغير رضى اهل ابرشيتهِ ولكثرة اذاه وضررهِ للمسيحيين عموماً وكتبوا صورة هذا المجمع المكاني وما حددوه فيه والقوانين والسنن اتباعاً للمجامع السالفة وهو الى الان موجود في خزانة كتب البطركية وعند الفقير مورخه ايضاً واما كيراس المذكور فان الامير فخر الدين ابن معن المذكور غضب عليه وارسله منفياً الى مغارة الراهب المشهورة الكائنة بقرب قرية الهرمل من بلاد الراس وفيها

وتعدي كيرلس قال الامير لرجاله: « لا تروني وجهه خذوه الى مكان بعيد واريحوا الناس من شره » ففعلوا حتى مات في مغارة الراهب في طرف بلاد بعلبك ولا يعاب الامير بهذا مع كيراس بعد ما اشتهر بعدله وحبه للنصارى حتى يصح ان يدعى قسطنطين زمانه وما كان يبطن النصرانية بل جاهر بها بعد ما تنصر في اخر حياته اذ اعتمد في صيدا بعد عودته من توسكانا ومات قتلًا على دين المسيح في ١٤ اذار سنة ١٦٣٥

وهذه الصورة التي تراها هنا نقلناها عن كتاب ايطالياني قديم يتضمن تاريخ حياته وكان بالعزم ان ننشر ترجمته لو لم ينشرها اليوم حضرة صديقنا الاستاذ الفاضل عيسى افندي المعلوف في مجلته الاثار بتفصيل لم يسبقهُ احد اليه فنهنئه بذلك ونحض على مطالعة هذا التاريخ كل من يريد الوقوف على تاريخ ايمان العزيز

كان قبره وذلك في سنة ٧١٣٥ للعالم (١٦٢٧ م) وثبت المجمع البطركية لاغناتيوس ·

واقام بدير الكرسي مدة سبع سنوات وفي ابتدا حرب العثمانية مع الامير فخر الدين ابن معن المذكور واختباط البلاد بسبب ذلك ففيما كان البطرك اغناتيوس هاربًا من صيدا الى بيروت مختفيًا متنكرًا بزيّ عسكري قتلوه الدروز في نصف الطريق عند نهر الدامور من غير ان يعرفوا من هو وذلك سنة ٧١٤٣ للعالم (١٦٣٥ م) وقضى نحبه ومات ودفن في قرية فوق بيروت تدعى الشويفات

وللحين وصل الخبر الى دمشق ومنها الى حلب مع سعاة الى كير ملاتيوس مطران حلب المعروف بكرمة الحموي الذي كان سابقًا في دير القديس مار سابا راهبًا باورشليم ومنه جآء الى حلب ولمحبة اهلها له ولتعاليمه المحيية مضوا به الى دمشق في حياة البطرك اثناسيوس ابن الدباس وبرضاهم شرطنه عليهم مطرانًا نهار الخميس سنة ٧١٢٠ للعالم وسنة (١٦١٢ م) وعاد الى حلب واقام فيها مطرانًا مدة اثنين وعشرين سنة ورعى ابنائها في مراعي الخلاص كما ينبغي وبعد ان كانت مدينة حلب قد افتقرت من المسيحيين منذ مدة كثيرة من السنين لا يعلم احد مقدارها اقبل المؤمنون اليها من كافة البلاد ومن كل صقع يليها لما سمعوا بتعاليمه الالهية واقواله الربانية وعظاته المحيية وغرسوا بها فاينعوا واثمروا ونموا وزادوا وتكاثروا واغنى فقر نفوسهم بالغنى الروحاني واسعدهم

ايضاً بحسن تدبيره الجسداني وعمر منزلاً في قلاية المطرنية عجيب جداً ذا منافع كلية متقن البنيان سامي الجدران بديع في تكوينه متين في تركينه قد تم بسعيه وجدهِ واوقفهُ على روسآء الكهنة الوافدين بعده ثم صار بينه وبين كيرلس البطرك ابن الدباس شرور كثيرة وخسائر على المسيحيين غزيرة وكابد لاجل ذلك اصناف التعب وسُجن مدة اثني عشر يوماً في قلعة حلب واضطره الامر لاجل ذلك للمضي الى مدينة القسطنطينية والى اخراج اوامر شريفة سلطانية ولا زال في جدٍ ونصب الى ان قتل كيرلس المذكور كما صرحنا انفًا بسبب قتله

وبعد وفاة البطرك اغناطيوس المذكور كما شرحنا ووصول السماة من دمشق الى عنده لحلب بانتداب اهل دمشق له مضى الى عندهم وصيروه بطركاً عليهم وسمي افتيميوس فلما ان بدت تلوح وتشرق في الابرشية بروق انواره وطلعت في افق سماء الديانة المحبية شموس فضائله بارتفاع مناره اهتم باوفر همة في ان يسعد كافة ابرشيته بحسن التدبير والراي السديد وان يوفقهم ويقتادهم جملة ليسلكوا طرايق الصلاح المفيد ' فبعد مدة يسيرة دهمه ما

(١) لا ينبغي للقاري النجيب ان يستغرب وينكر ما كتبه الشماس بولس عن هذا البطريرك من المديح الذي هو اهل له بعد ما شاهده تنازل عن البطريركية بتمام رضاه ولم يكن قد تملأ منها بعد وكان اسلافه يتنازعون عليها بل رسم بذاته خلفه الذي اختاره خير خلف وسلمه كل شيء حتى اسمه ولا نرى مثالاً لهذا الزهد في تاريخ البطريركية الانطاكية الجديث الا

عرض له من مرض شديد مشهور وادركه الاجل وله في البطركية سبعة شهور الا ان امله لم يخب لان كما رسم الكلي الحكمة ان ابن الصديق يولد للحياة ومن صلاحاته يقطف ثمرة العدل وقد تم هذا القول بغير اشتباه في هذا الاب الفاضل وابنيه اعني بهما تلميذيه اللذين تبناهما وبالروح كما يقول الرسول ولدهما وفي الرتبتين والمكانين عوضه خلفاه الاول منهما الخوري يوحنا ابن الخوري بولس والدي الكريم المحترم حفظه الله وادام الله بقاه اذ كان نوّه بهِ وعهد له بالمطرنية بحلب عند خروجه منها ونعم ما نصب لكونه كان يحبه جداً ويوده ومنذ صباه كان تلميذه وهو الذي سامه شماساً وقساً وخوري والى قبول رتبة الاعتراف رقاه . والثاني الخوري ملاتيوس الصاقزلي المصوّر الذي كان احضره من دير القديس ماري سابا باورشليم ليجمل الكنيسة بالايقونات (في دمشق) ثم جعله خليفة له ورسمه بطريركا في حال حياته ودعى اسمه في البطركية افثيميوس ايضاً باسمه[1] عند علمه بوفاته . فهذان الابنان

في كيرلس طاناس واكيمنضوس بحوث اللذين زهدا بشرف البطريركية حباً بالرعية حتى لا تقع في فتنة بانتخاب خلف غير صالح . وقد كتب البطريرك مكاريوس ترجمة حياة معلمه مفصلاً فيها اعماله وعندي نسخة منها سانشرها ان شاء الله مع ما نقلته من مراسلاته عن سجلات رومية وما كتبت عنه المعاصرون له من الشهادة الحسنة بانه لم يكن ينقصه شيء من العلم وصحة الايمان والاعمال الصالحة عن اباء الكنيسة القديسين الاولين

(١) ينبغي ان نعيد هنا ما استدركناه في مجلة المشرق (٩ : ٦٢٣)

بشان اسم هذا البطريرك الذي يدعوه البعض افتيشيوس غلطاً وسبب هـذا الغلط فيما يظهر لي ان الذي نقله للعلامة لوكيان من العربي التبس عليه قراءته لقرب صورة كل من الاسمين خطاً وعلى هذا الغلط جرى كل من نقل عن لوكيان او اعتمد على من نقل عنه من القس يوحنا العجيمي صاحب التختيكون الى شارون حتى بعدما نشرت ذلك في المشرق سنة ١٩٠٦ والصحيح مـا صرّح به الشماس بولس مع بيان سببه مطابقاً لـما ذكره والده مكاريوس في مواضع كثيرة من مؤلفاته فضلاً عن المخطوطات القديمة وليست بقليلة كُتب اسمه فيها افتيميوس الرومي او الصاقزلي (على طريقة النسبة التركية) ومطابقاً لما كتبه الاب بسون اليسوعي المعاصر له وهذا نصه :

Cette mission est l'ouvrage du père J. Queyrot, qui fut mené d'Alep à Damas, sur le commencement de l'année 1643, par le patriarche grec Euthymius, de l'île de Chio, et du rite romain, pour l'instruction de la jeunesse, et nommément de son neveu et pour la composition de ses lettres circulaires et de ses patentes grecques et arabes. (Besson; la Syrie, p. 68.)

وهذه ترجمته : هذه الرسالة من عمل الاب ايرونيموس كيرو الذي اتى به من حلب الى دمشق البطريرك افتيميوس الرومي من جزيرة صاقز ومن ذوي الطقس الروماني لاجل تعليم الشبان ولاسيما ابن اخته ولاجل تحرير مناشيره والاعلامات البطريركية باليوناني والعربي . . .

قلت «حتى بعد نشر ذلك في المشرق» لاني في مناسبة عيد القديس يوحنا فم الذهب الذي صار في رومية سنة ١٩٠٨ نشرت ترجمة عربية قديمة من قداسه صدّرتها بمقدمة في تاريخ ترجمات القداس العربية وذكرت في صفحة ٤٠٨ من المجموعة التي نشرتها لجنة الاحتفال البطريرك افتيميوس الصاقزي بين الذين

اقتديا فسعدا وللرعايا اراحا واسعدا وكانت وفاته يوم عيد الختان وراس السنة ونقلته رحمة الله تعالى وتغمده برحمتهِ (الموافق لاول سنة ١٦٣٥ مسيحية)

وثبت بعده البطركية لافتيميوس الصاقزلي الهمام المذكور في اواخر شهر كانون الاول سنة ٧١٤٣ للعالم ١٦٣٤ م واقام في البطركية نحو ثلاثة عشر سنة الا بعض ايام

رسامة مكاريوس مطراناً على حلب

واما ما كان من امر اهل حلب فانهم يوم عيد الصليب افتتاح سنة ٧١٤٤ للعالم ١٦٣٥ م اجتمعوا في قلايـة المطرانية الكهنة والاراخنة والاكليروس المبرور مع باقي المسيحيين واستخاروا الخوري يوحنا والدي المذكور ليكون عليهم مطران برضى الكهنة والاراخنة والاعيان وباقي المسيحيين كانوا ذوي فرد كلمة وارسلوه صحبة القفل الى الشام ووجهوا معه رفقة من كهنة واعوام وبعد ان وصل بالصحة والسلامة شرطنه الاب السيد البطركير افتيميوس المذكور مطرانا على حلب سابع وعشرون يوم خلت من شهر تشرين الاول نهار

سعرا بنشر الترجمة التي صححها افتيميوس كرمة واذ عهدت اللجنة المذكورة الى شارون ان يقف على طبعها لحسن ظنها به فلم يرق لعلمة الا ان يبدله بافتيشيوس بعد ما حذف من المقدمة ما شاء ليضعه فيما نسبه لنفسه بل زاد في الطين بلة اذ كتب من جديد في المشرق (١٣ : ٥٧٨) اسمه افتيخيوس ناسباً الخطا والتصحيف لمن نقله على اصله نظير الشماس بولس وابيه الذين نعد منهم عشرات

الاحد ولكثرة وده له ورعايته لخاطر المرحوم معلمه ووصيته له جعله كاتوليك مشرفًا على سائر نوريته وصيره اكسرخسًا اي وكيلًا وناظرًا على بلاد آمد وما يليها وانطاكية التي هي كرسي البطركية ونواحيها واذن له ايضًا ان يقدس فيها اذا مضى اليها ثم عاد هو وصحبته الى حلب بالابتهاج والحبور وقبله المسيحيون والتقوه بكل فرح ووقار وسرور واقام فيها مطرانًا مدة اثني عشر سنة كاملة مقتفي اثار السادة السالفين اولي السيرة الفاضلة ورعى المسيحيين في مراعي الخلاص متمماً كافة وصايا الله تعالى بغير انتقاص ودبرهم بسديد رايه وسعيد تدبيره وسار كمن تقدمه بل اجمل كان مسيره وازداد بنيان الجماعة واستعمارهم عما سلف لما احتضنهم كالنسر الذي عليهم انعكف .

وفي السنة الرابعة من رئاسته التي هي سنة ٧١٤٧ للعالم (١٦٣٩ م) وافى السلطان مراد مجيشًا من القسطنطينية الى حلب ودخلها يوم الخميس ثاني عشر شهر تموز راغبًا في الذهاب الى مدينة بغداد كي لما يحوز وخرجت جميع طوائف النصارى التقوه باصناف اثواب القماش الثمين ناشرين ذلك على حافة الطريق ومعهم الاب السيد المطران والكهنة وبقية المسيحيين مع ارباب الحرف والصنائع وممتدين من قرب خان طومان الى نفس ساحة الميدان وكان يومًا مشهورًا يعد من الاعمار ويذكر في الاجيال الاتية الى انتها الادهار وكانت السلطانة الافرنجية امراته قد تقدمته بايام ثلاث معها يلوذ بها في القوجيات اي العربانات واقام في حلب ستة عشر يومًا وما كانت

الا كانها روية في المنام لان بقدومهِ قدم الخير الوفي واخصب فيها كل شي وصار طالع سعودها بوجوده ولم يعوزها شي مع كثرة من صحبهُ من العساكر المشابهة بكثرتها القطر القاطر ثم انهم توجهوا جميعاً نحو مدينة بغداد الوفا غزيرة تفوق الحد والاعداد الى ان وصل بعزه اليها ونشر سناجق النصر والظفر عليها واقام اربعين يوماً محاصراً لها بغير تغافل عنها ولا التهآء وفتحها وملكها من يد قزل باش قصماً وافنى جملتهم بحد السيف حسماً وزاعت الاخبار السارة المبشرة بالظفر في كافة البلاد وزينت جميعها جملة ايام بافراح وافر الازدياد ثم عاد الى كرسيه ظافراً واقام في مدينة القسطنطينية سنة ونصف وتوفي وفي الكون الدائم صار يقيم ٠ وتملك بعده اخوه السلطان ابرهيم[١]

---

(١) السلطان مراد الرابع من اشهر سلاطين آل عثمان بشدة عزمه وقوة بأسه فقد تولى التخت العثماني وهو شاب صغير بعد ان خلع الانكشارية على ايامه عمه السلطان مصطفى واخاه السلطان عثمان لكنه مع هذا تقوى عليهم وكسر شوكتهم بقوة عزمه وفتكه وجعلهم طوع بنانه حتى كانوا كما وصفهم الشماس بولس في حلب على خلاف ما هو معروف عنهم من ثقلتهم وكثرة تعديهم على الناس واشتهر ايضاً هذا السلطان بعاداته الدخان والقهوة والمسكرات حتى كان يتعقب من يتعاطاها ليفتك به اياً كان الى ان غلبه احدهم على ما قيل بخفة كلامه وغرابة حاله٠ واشهر القابه التي كان اليه احبها « فاتح بغداد » اذ قد اخذها من آل عثمان الشاه عباس الاكبر وحاول كثيرون من القواد والوزراء العثمانيين ان يسترجعوها فلم يفلحوا حتى قدم اليها السلطان المذكور بذاته وباشر امر حصارها بنفسه وهو لابس ثوب الانكشاريه كانه واحد منهم ولم يترك

ثم في السنة الخامسة من مطرانية الوالد في ٩ اب حضر الى حلب الاب السيد البطريرك كير افتيميوس الساقزلي ومن معه من الاصحاب وشرطن بها الخوري يوسف الحلبي مطرانًا على عكار ورحبة وارسله الى بلاد المسيحيين العامرة الرحبة ولما وصل الى بلد تدعى بوتيليا حد بلاد المسكوف وقربه انتقل الى رحمة الله تعالى وجوار ربهِ .

واما السيد البطريرك فانهُ اقام في حلب مايه يوم تمامًا وبعد ان جبى النورية خرج منها يوم الثلاثا ١٢ ت٢ من العام وتوجه معه حضرة الوالد وانا صحبته وودعناه الى حماه وعاودنا غانمين بصالح دعواته وبقبول طلبته

سفره لزيارة القدس الشريف

وفي السنة السابعة من مطرانية الوالد التي هي سنة ١٧٥٠

عمل الحصار حتى فتحت له بغداد بعد مقاساة الاهوال

وقوله « قزل باش » تركية معناها الراس الاحمر والمراد بها جند الفرس الذين كانوا يلبسون العمائم الحمراء في ذلك العهد ولذلك دعوا قزل باش والبعض ظنها بغير سداد علماً وكتبها قزل باشا وقد وجدنا في احد المخطوطات الحلبية التي كتبت في هذا العهد حاشية بهذا الصدد ننقلها هنا لتمام الفائدة

« في سنة ٧١٤٧ للعالم جاء الى حلب السلطان مراد والسلطانة معه وقعد ستة عشر يوماً فيها وتوجه الى بغداد وحاصرها مدة اربعين يوماً وفتحها في السنة المذكورة وملكها وصارت مقتلة عظيمة فيها ونصره الله على قزل باش ورجع الى التخت اي القسطنطينية وجلس سنة ومات وتسلطن اخوه السلطان ابرهيم سنة ١٠٤٩ للهجرة »

للعالم وسنة ١٦٤٢م مضى لزيارة اورشليم المقدسة صحبة ستين نفراً من الحلبية ويا لها من حسن زيارة كانت تعد من الاعمار السنية وتذكر في الاجيال الاتيـة شهية بهية قضيناها بالفرح والسرور النفساني وبالتسبيح والتقديس والتهليل والصلوات المتصلة بالتلحين والترتيل وكنا مع المقادسة قافلة كبيرة عديدة غزيرة كانوا يتبعونا ويسيرون ان سرنا ويقيمون ان اقمنا

ومن قارا فارقناهم وتوجهنا الى يبرود وزرنا كنائسها المعظمة في الوجود وقلالي القديس ماري قونن اعني به ذلك الذي حبس الشياطين في الجرار البستاني وهي نقر في جبل وبساتينها كثيرة مشهورة وفواكهها لذيذة غزيرة كيف لا ومدحها قد جاء في التوراة المقدسة حيث يقول وكبساتين بعفيلية لان اسمها كان هكذا قديماً .

ومنها اتينا الى سلوكية الشام المسماة الان معلولا وزرنا كنيسة اول الشهيدات القديسة تقلا وجسدها المقدس مخفي بهـا [1] ودير القديس مار سرجيوس صاحب العجايب الذائعة [2] ومياه هذه البلدة غزيرة نابعة .

---

(١) لا يزال اصحاب هذه الكنيسة يقولون الى اليوم قول الشماس بولس عن وجود جسدها فيها دون ان يراه احد ولعل وجود احد اعضائها فيها حملهم على ذلك وعلى تسمية معلولا بسلوكية الشام او سورية تشبيهاً لها بسلوكية ايسورية التي استشهدت فيها القديسة وفيها حُفظ جسدها

(٢) هو الدير الوحيد الذي وضعت يدها عليه رهبانيتنا المخلصية من الاديرة القديمة وكنيسته من اقدم الكنائس الشرقية بناء فيما اعلم ولم يكن قائماً في

ومنها اتينا نحو حصن صيدنايا المقصود لزيارة سيدة البشر وست العالم مريم البتول ام يسوع المسيح المنتظر فانتعشت منا ارواحنا وزالت عنا للوقت كافة اتراحنا

ثم اتينا الى محروسة دمشق الشام على طريق منين واجتمعنا بالاب السيد البطريرك والتقانا اهلها مسرورين وفرحوا بنا كافتهم وسروا لانهم لقدومنا كانوا كلهم ينتظرون وانزلونا في قلاية البطريركية العامرة بكل اكرام واقمنا عندهم نحو عشرة ايام وخرجنا منها قاصدين مدينة صهيون والى الوصول اليها بالمجد ماضين

ولما وصلناها كان وصولنا مقرونًا بوصول سيدها الكريم اعني

الدير سواءها لما وقفها اهل معلولا للرهبانية في اول القرن الثامن عشر اسوة باهل راس بعلبك الذين وقفوا دير السيدة للرهبانية الحلبية وحجة الوقفية بامضاوات كهنة وشيوخ معلولا وفي مقدمتهم الشيخ فاضل والد المطران افتيميوس اسقف الفرزل وزحلة المعروف بالمعلولي ومعلوم ان ابرشية صيدنايا التي كان تابعاً لها معلولا ومعرى ومعرونة ويبرود والنبك وقارا جاهرت بالاتفاق والاجماع العام مع اساقفتها بالايمان الكاثوليكي من اول القرن الثامن عشر فان المطران جراسيموس ارسل الى رومية صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي في سنة ١٧١٦ على يد القس جبرائيل فينان احد تلاميذ الطيب الذكر المطران افتيميوس الصيفي واحد رهبان دير المخلص الاولين وبقي في هذه الابرشية وكيلًا لمطرانها الى زمان المطران ثاوفيطوس نصري البار المشهور حتى الى سنة ١٧٢٣ وفي السنة التالية رسم مطراناً على بانياس باسم باسيليوس وبوعظه واتعابه نمى بذار الايمان الكاثوليكي في هذه الابرشية من تغلب على اهلها وهم مشهورون بتقواهم وحسن عبادتهم

به الاب السيد البطريرك كير ثاوفاني اذ كان غائباً عنها منذ سبع سنين لاصلاحها وتشديدها فاقام بنا بكل رعاية وكرامة ويا ليت طالت بنا تلك الاقامة وكان عيد الفصح المجيد في ١٠ نيسان وكملنا زيارة كافة الديارة والاراضي المقدسة وكل مكان واقمنا في دير القديس مار سابا يومين وطفنا قلالي ذلك الوادي الموصوف بغير مين انه يحوي اربعة عشر الف قلاية[1] منقورة كلها في الصخر كما شاهدنا ذلك بنظر العين كفاية . ويوم الخميس بعد احد توما خرجنا من اورشليم والى دمشق عدنا ودخلناها سحر احد المخلع غلساً وحضرنا في كنيستها المقدسة القداس وفي الاحد الذي يتلوه المختص بالسامرية قدّس المعلم باذن السيد البطريرك وامره ان يعظ على الرعية فامتثل امره بالسمع والطاعة واملا عليهم قدر ما استطاع فابتهجت نفوسهم وبقوله انتعشوا وبتعاليمهِ المحيية العذبة اندهشوا وبشكر السيد البطريرك ختم الوعظ مع صالح الدعا واطيب اللفظ وفي هذا اليوم رسم شماساً انغنسط المورخ الفقير (بولس) وودعناهم جملة وخرجنا نحو بلدتنا نسير وكير مكسيموس كاتوليك الكرج من اورشليم صحبتنا

ويوم خميس الصعود الي حلب دخلنا وصار لحضرة المطران المذكور حسن اللقا من رعيتهِ والطوائف والامم بغاية الاحتفال

---

(١) لا ريب ان هـذا العدد مبالغ فيه كثيرًا كعدد الجراد وكثرته فيما ياتي ذكره .

بتوقير وتكريم واحترام واجلال فوجدنا بلدة حلب الشهبا حرسها
الله من كل سوء ونكباء مخصبة بالرخص والاقبال وهي في غاية
العدالة والاعتدال والحاكم بها يومئذٍ حسين باشا ابن نصوح باشا
وَجوْرًا في وقتنا هذا لم نرَ كلا وحاشا وفي هذه السنة رسم
وحكم ان يوتى بماء السمرمر من بلاد العجم كما تقدم منذ القديم
هذا الرسم المعتاد ان يحضروا هذا الماء لاجل رفع الجراد لانه في
ذلك العام ظهر فيها متكاثرًا ومن المآء المذكور لم يكن شيء فيها
حاضرًا ولما عاود المرسلون وجاوا بهِ اصعدوه بوقاية من فوق
مقام الشيخ ابي بكر لان رصده انه لا يجوز تحت سقف ولا
عتبة وامر حينئذٍ ان يخرج للقائه جميع من كان بالمدينة من المسلمين
والنصارى واليهود فتقدم المسلمون يهللون ثم النصارى باللغة الرومية
يرتلون وطافوا جميعًا حول سور المدينة باحسن نظام الى ان اتوا
به وعلقوه عند باب المقام فتناولوه باناثهِ النحاس من فوق الباب
باوفر احتراس وكذلك مضينا قدامه الى ان صعدوا به الى القلعة
العامرة واصعدوه من فوق بابها وعلقوه تحت رفراف المأذنة من
غير ان يجوزوا به تحت اعتابها لئلا طلسمه يعطل ومنفعته تبطل
وفي حين فقس الجراد وطيرانه في الجو في الوقت المعهود كانوا
يحركون ذلك الوعآء وذلك المـاء المرصود وللحال كان ياتي من
الطيور المسمى بالسمرمر عدة غزيرة ويتساقط الجراد حتى لم يبقَ له
وجود فهو اسود صغير بقدر العصفور وما كان قد فقس من

الجراد حول اراضي حلب وعلى الخصوص من نواحي قبليها فامر الباشا بجمعه بالاعدال وارمى ذلك (رسم بجمعه) على الفلاحين واهل المدينة وما يليها فجمعوا منه مقدار اربعة عشر الف جوال وارموه في بير هوار مقابل القلعة بقوة الرجال

وفي السنة التاسعة من مطرانية الوالد حضر الى حلب الاب السيد البطريرك كير افتيميوس خطرة ثانية والتقيناه بجماة بفرح وسرور ورغبة وافية ويوم اول شباط كان دخوله وتضاعف فرح المسيحيين به وبوصوله والزم حضرة الوالد بزواجي حينئذٍ وكالني يوم احد ابن الشاطر وهو ١٧ شباط ولي من العمر سبعة عشرة سنة وجمع من الرعية نوريته ومضى بسلام وكان خروجه بعد مائة يوم تام وتوجه في ١٧ ايار الى حماه وطرابلس مسارعاً ثم عاد الى دمشق الشام راجعاً

انتخابه للبطركية

وفي بدء السنة الثالثة عشر من مطرانية الوالد دهم السيد البطريرك افتيميوس مرض شديد وكلهم آيسوا منه فاجتمعوا في قلاية البطريركية الكهنة والاكليروس وعملوا له زيتاً مقدساً واستشاروه بان اذا تنيح من يكون بعده فاجابهم رحمه الله بأموله وقصده قائلًا ان كنتم تريدون اصلاح اموركم وتوفيق احوالكم لا تجعلوا غير مطران حلب بطركاً عليكم وتم بهذا الراي الحميد قول الانجيل المجيد حسب التلميذ يكون مثل معلمه وقد صنع هذا كصنع الذي

تقدمه اعني كما رسمه ذاك رحمة الله عليه وانتخبه اختار والدي مطرانًا وانتدبه(١) فلما سمعوا منه ذلك القول انطربوا وبسرعة بالصورة

(١) من وقف على كلام الشماس بولس وعلى ما كتبه والده وما كتبه المرسلون المعاصرون عن البطريرك افتيميوس الصاقزي يظهر له انه اتبع في كل شيء اعمال سلفه ولعل الايام زادته علماً وخبرة في ادارة اعمال البطركية ولا ينبغي ان يعوّل على كلام من يقول انه عزل ولم يستقم في البطركية سوى خمس سنوات بسعي ابنآء الطائفة لكثرة مداخلة البادرية معه لان هذا القول مخالف لرواية الشماس بولس وابيه التي يجب ان يعتمد عليها اكثر من سواها عدا كونه مخالفاً للاثار التاريخية القديمة ولا سند له الا كون هذا البطريرك قد تنازل عن البطركية في اخر حياته نظير سالفه وانه كان مجاهرًا بتمسكه بالايمان الكاثوليكي وانه احضر اليسوعية الى دمشق وجعل احدهم في داره البطريركية كاتباً عنده ويعلّم ابنآء الطائفة ولما مات اشترك بجنازه مع كل اكليروسه فان هذا التصرف وهذه الاعمال المقررة حقيقتها تاريخياً (على ما كتب الاب بسون المعاصر له في الكتاب المذكور قبلًا وعلى ما ذكر الاب اميو (Amieu) اليسوعي المعاصر له ايضاً في كتاب الاثار التاريخية الذي نشره الاب انطون رباط في صفحة ٤٠٢ من المجلد الاول) لا يصح ان تكون دليلًا على عزله وليس في هذا نص قديم يثبته بل له فيمن تقدمه اسوة في هذا التنازل الاختياري مع ثقته بصلاحية من اختاره ان يكون خلفاً صالحاً له يقي الطائفة بعمله هذا من فتنة كبيرة بعد موته

ولا يراد بالبادرية هنا اليسوعية على سبيل التخصيص بل يشمل جميع المرسلين فان القس قسطنطين الطرابلسي الحلبي الاصل يذكر في مقدمة تاريخه عنه انه كان محباً للرهبان اليسوعية اكثر من غيرهم من المرسلين لاجل علومهم وحسن سيرتهم ورهبان القدس الموجودين في الشام تداخلوا معه فقبلهم واعطاهم

الواقعة قد كتبوا واعرضوا عليه تلك الكتابة وعلم عليها بيده وهو بتلك الحالة ووجّهوا بها ساعياً الى المطران المذكور وحثوه بان يجد السير ويسرع بالحضور وان الساعي لما وصل الى حلب ولم يجد المطران لانه كان قد ذهب من حلب لكثرة الجوز والحيف الذي بدا من حاكمها قره حسن باشا اذ الى العدوان والبلص قد اتصل مضى الى بلاد المعرة والى كليس عاد فلا زال الساعي يسأل عنه مستقصياً حتى بلغ المراد ولما التقى به اعطاه ذلك المكتوب فقراه وعرف الامر المطلوب فشق عليه ذلك الغرض لاسيما اذ

الاذن بسر الاعتراف وعمل لهم كرسياً مخصوصاً في كنيسة المريمية لكي يعرفوا فيه فلا يبعد ان يكون سلوك بعض المعرفين مع الذين كان يتقدم اليهم منهم من غير الكاثوليك كان سبباً لشكوى من كان على شاكلتهم لكن الشكوى من ابناء الرعية لا تفضي الى عزل من كان نظيره ولم تكن يد بطاركة القسطنطينية طويلة تمتد الى الشام وترفع وتحط البطاركة عن بعيد. ولا يعاب الشماس بولس على سكوته عن مثل هذا الامر اي مجاهرة البطاركة الانطاكيين باتباعهم الايمان الكاثوليكي فان الحكمة ومراعاة احوال تلك الايام تضطره ان يسكت عنه على ما لا يخفى على من له المام بتاريخ النصرانية في هذه البلاد اذ كان اهل الذمة فيها لا يسوغ لهم ان يكونوا موالين الافرنج وعلى مذهبهم ولاسيما اذا كانوا مخالفين البطريرك الروم القسطنطيني الذي كان معروفاً وحده رئيس ملة الروم واذا كان كبير النصارى في الشام او بطريركهم يتحقق انه يكاتب البابا عميد ملوك الافرنج كان يُعد انه خرج من الذمة وصار من اهل دار الحرب او من القوم الخائنين. (راجع النبذة التاريخية للسعيد الذكر البطريرك مكسيموس)

تحقق ما شمل البطريرك من ثقل المرض ولم يشا عند ذلك الذهاب وارسل يستعذر عن الحضور بالجواب فلما بلغ البطريرك انـه ابى وما طاع اغتاظ وهو في حال النزاع وامر بمكتوب ثاني اليه انه اذا لم يحضر ويجي سريعاً يكون مربوطا ومقطوعا وبعـد وصول هذه الرسالة ثانياً التزم الامر برد الجواب انه موافي بغير تباطي وهكذا توجه الى الشام بالرغم منه والفقير صحبته ابداً لا انتزح عنه ٠

ولما اتى مدينة حماه وجدنا ساعياً ثالثاً في طلبنا من كهنة دمشق واعيانها برسائل ومكاتيب موافقة للرسالات الاولى باعيانها وتخبر بوفاة البطريرك ليلة ١١ ت ١ واقسامات لحضرة المطران بان ياتي ولا يتمهل لئلا يبقى تحت الوصية مقيم والمياذ بالله من هذا الخطر العظيم ولئلا يحدث بالتطاول شرور وفتن ونفاق ولاسيما انهم حال وفاة المرحوم اخرجوا التحويل والحجج باسم مكاريوس كحسب العادة ووصية المرحوم افتيميوس بغـاية الاتفاق وكان في الشام محمد باشا الكوبرلي المحترم ٠ ولئلا يختلف راي الجمهور ويحدث من بعد هذه الامور امور طلبوا ان يحضر معه مطران حماه المرحوم ملاتيوس ومطران حمص المتنيح فيلوثاوس فاثناهما معنا قـد سارا ووجدنا في صيدنايا كير يواصف مطران قارا ودخلنا دمشق سحراً ففيها كان حاضراً كير غريغوريوس مطران حوران فباتفاق الكافة شرطنوه بطريركا وتكرس وعلى النورية الانطاكية تراقى وترأس بالمام حقيق رباني في ١٢ ت ٢ سنة ٧١٥٦ لكون العالم الفاني (١٦٤٧ م)

ثم انه صار فيما بعد مجمع للراي والمشورة وضبطوا جملة الديون التي بالدفاتر مسطرة اعني التي تخلفت على المرحوم البطريرك المتوفي نحو ستة آلاف غرش بالرباء والفوائد ثم انهم ايضاً ضبطوا ما انفقوا على دفنهِ وتجنيزه وحشره وما صرف على اخراج البيورلدي من الباشا باسم البطريرك الجديد وما صرفوا على تقرير ذلك في حجج شرعية برضا الجميع اعني كافة الرعية لاجل رفع المنازعة والمقاومة وحذراً من تجديد الامور المتقدمة فكان جملة ذلك المصروف غروشاً نحو اربعة الاف فيكون جملة ما ترتب الاف عشرة مضبوطة محررة ثم انها قلبوها لاربابها بالفوائد وفي مدة قليلة صارت ثلاث عشر الف غرش وزيادة وعلى هذا المبلغ المرقوم رهنوا جميع التاجات الاربعة القديم والكبير والحلبي والاستانبولي مع بقية البدلات وآلات القدس ثم ان الاب السيد البطريرك ارسل من جانبه حينئذٍ المراسلات بالبركة والدعا كالعادة الى ساير البلاد وكافة الجهات ويوم ٢١ تشرين الثاني انتدب وشرطن الخوري ميخائيل ابن القسيس بشاره الحلبي الذي كان صحبته مطراناً على حلب وسماه مطروفانوس واليها ارسله وشرطن معه الفقير مورخه ارشيدياكون اي رئيس شمامسة على مدينتي دمشق وحلب وسائر بلاد العرب وخصصه بهذه الرتبة وذهب

زيارته للبطركية ورسامته المطارنة

ثم انه خرج لزيارة دير صيدنايا للتبرك منه وللالتماس من العذرا

صالح العطايا ووصل الى سلوكية الشام التي هي معلولا والى بعفيلية التي هي يبرود وقارا وعاد الى ضيعة عـين التينه ونجمة مع بقية نورية جبال عسال [1]

---

(١) دخل اهل هذه القرى في الاسلام في زمان مكاريوس بعد زيارته لهم على ما روى ذلك كثيرون ومنهم تلميذه الطيب الذكر المطران افتيميوس الصيفي في رسالة كتبها الى مجمع انتشار الايمان ابان فيها الاسباب التي اوجبت ان يهذب ويصلح الاصوام والقطاعات لما دخل عليها وهذه الرسالة محفوظة في سجلات المجمع المذكور في عـدد ٣٨٨ من المجلد الخامس والسبعين بعنوان الروم الكاثوليك لا نذكر منها الا ماله شان بموضوع التاريخ قال

« معلوم نيافتكم انه ما احد من الكهنة صار له غيرة وتفتيش عـلى خراف المسيح مثلي انا عبدكم الحقـير لاني فحصت وفتشت كثيرًا في الخلل الصائر في هذه البلاد وكيف بسهولة يدخل النصارى بدين الاسلام فوجدت سبب ذلك ضيقة الوقت وفقر الناس وقلة المعاش ومخالطتهم للامم وكثرة الاصوام الموضوعة عليهم لان عليهم صيامات اكثر من ثلاثة ارباع السنة والحال انهم لا يصومونها الا بالغصب والكره اولاً الاربعا والجمعة على مدار السنة ثانياً الصيام الكبير المقدس ثالثاً صوم الرسل اربعين يوماً غالباً رابعاً صوم العذرا خمسة عشر يوماً خامساً صوم الميلاد اربعـين يوماً سادساً صوم الصليب خمسة عشر يوماً سابعاً صوم القـديس ديمتريوس ثمانية ايام ثامناً صوم ريس الاجناد القديس ميخائل ثمانية ايام تاسعاً كل نسكيات سكان البراري والرهبان الزموا بها العوام واصحاب الصنائع الثقيلة (الاصوام المذكورة في الثلاثة الاعداد لم يكن عدد الايام فيها شائعاً في كل البلدان على وجه واحد على ما روى سمعان التسالونيكي) حتى ما عاد الناس احتملوا ذلك حتى ان اناساً من بلاد كيليكيا كما اخبروني لما كنت عندهم بان الوفاً والوفاً منهم دخلوا في دين الاسلام بسبب كثرة الصيامات

وفي اليوم الخامس من شهر شباط اختار واصطفى وشرطن

وفي بر مدينة حماة طائفة من النصارى كثيرين جدًا ومعاشهم من تربية الجاموس اي من الحليب والسمن فهولآء في زمان والدي كانوا مقدار عشرة الاف نفس تركوا دين المسيح ودخلوا في دين محمد بسبب هذه الصيامات وانا اخبروني قوم منهم بذلك (هـذه الطائفة هي قبيلة الصليب المشهورة كتب عنها مقالة وافية البيان في المشرق (١: ٦٧٣) حضرة الاب انستاس الكرملي)

ومن مـدة خمسة وخمسين سنة وانا في الشام صار غلا عظيم في الشام وبرها وقرية يقال لها عين التينة بقرب الشام كان فيهـا مقدار خمساية نفس نصارى فمن شدة الغلا وفقرهم طلبوا من البطرك مكاريوس جد البطرك كيرلس (الذي كان في زمانه) ان يطلق لهم اكل الالبان في زمان الصيام وراجعوه مرات فما امكن يسمح لهم وكان مد القمح بقرش (اكثر قيمة في ايامنا من ماية قرش) فمن اجل هذه الضيقة العظيمة والقساوة الظالمة مضى كهنة الضيعة اربعة مع رعاياهم كلها ودخلوا في دين محمد والكهنة صاروا لهم خطباء وعملوا كنيستهم جامعاً وهذا نظرته بعيني ما عدا الذين يفعلون ذلك بالافراد والتدريج من ضيق العيشة وغير اسباب

ومن مـدة اربعين سنة (او اكثر) كان في مدينة غزة في بلاد القدس ما ينيف عن ثلاثة الاف نفس نصارى الجميع دخـلوا في دين الاسلام ما فضل منهم الا خمسين وكل هذا سببه ضيقة المعاش وكثرة الصيامات ويسر المسلمين على النصارى (يذكر الشماس بولس هذا الامر كما ترى وكذلك يذكر الغلا الشديد الذي صار في الشام على زمان الكبرلي)

وبقرب غزة قرية تدعى الدوير كان فيها مقدار الف وخمساية نفس نصارى دخلوا هم وكهنتهم في دين الاسلام وعملوا كنيستهم جامعاً بسبب هذه الصيامات

وذكر لنا احد تلك البلاد من المسلمين انه في فلسطين بر واسع يدعى وادي الصرار كان يوجد فيه اكثر من ستين الف نصراني دخلوا مع كهنتهم

الخوري ابرهيم الديرعطاني في صيدنايا الرجل الفاضل الناسك على يبرود ومعلولا اسقفًا وسماه اثناسيوس

ثم عاد الى دمشق بعد الزيارة وشرطن تلميذه الشماس جبرئيل الحلبي خوري ومنحه رتبة ارشيمندريت اي رئيس الديارة وارسله اكسرخساً اي وكيلًا من جهته الى بلاد الكرج مع اناس صحبته .

في دين الاسلام وعملوا كنائسهم جوامع وسبب ذلك كثرة هذه الصيامات وقساوة الروساء ...

وانا الحقير لما سمعت ونظرت وتحققت عن طائفتي وملتي ان ما بقي منها الا القليل بسبب هذه الصيامات التي اضرت كنيسة الله في الشرق فمن شفقتي عليها اطلقت لها بسلطان الكنيسة ان تتبع الصيامات المرتبة من كنيستنا المقدسة (فقط) ونشكر الله من الزمان الذي اطلقنا فيه استعمال ذلك صاروا يدخلون في الايمان الكاثوليكي حتى الغرباء بدل ما كانوا يخرجون قديماً والشفقة واجبة يا سادتي على خراف المسيح التي اشتراها بدمه الكريم ولا يسوغ لنا لاجل الاكل والشرب نعطي رعايانا لغير المسيح ومعلومكم انه لا يشفق على الاغنام الا راعيها ولا يشفق على الابن الا ابوه »

انتهى المقصود وكلامه الاخير يشير به الى اثناسيوس الدباس الذي كان يخالفه في شان هذه الصيامات وغيرها فيما عرضه الى رومية شاكياً المطران به مع انه قصر صوم الرسل وجعله اثني عشر يوماً في حلب على عهد البطريرك كيرلس وقد اشتد هذا الجدال فيما بعد وبلغ رومية واشترك به غير ابناء الطائفة ممن تابعوا وتعصبوا لاثناسيوس في حلب حتى بعد موته الى زمان البطريرك كيرلس الذي نال مصادقة رومية على هذا التفسيح بعد منعه عن ذلك بسبب تشكيات اخصامه

وفي اليوم السادس من شهر تموز خرج السيد البطريرك من دمشق ليطوف على ابرشيته ليجمع نوريته وينظر احوال رعيته مما يلي بلاد الشام اعني صيدا وبيروت ايضاً وبلاد الشوف وبات تلك الليلة في قرية الديماس ومنها الى عيتا ومنها الى قرعون ومنها الى المشغرة والى كفرملكا ومنها الى صيدا ودخلها نهار الخميس . ثم انه طلع الى عبرا ثم عاد الى صيدا وجملة ما اقام بها اثني عشر يوم ثم انه خرج منها وجاء الى وادي الليمون ومنها الى برقي ومنها الى كفربيت والى كفرحتا ثم الى وادي الليمون ايضاً ومنه الى قرية بسري وعنبال ثم الى بعقلين ضيعة الامير ملحم ابن معن واجتمع به وعاد الى عنبال ومنها الى عريفة والى المزرعة والى عين قنية والى عماطور والى باتر والى نيحا المشهورة بقلعتها التي تحمى بها الامير فخر الدين لما حاصره بها كجك احمد باشا والي الشام ومسكه وارسله الى استانبول وقتل بها . ثم الى بعذران والى الحرنية ومنها الى المعاصر والى بتلون والى الفريديس ومنها الى الباروك وتفرجنا على راس العين ومنها الى عين زحلتا والى بصين والى بريح والى عين وزية والى السمقانية ومنها الى الدير والى الشويفات وقدس بها الاحد الثالث عشر بعد العنصرة

ودخل الى محروسة بيروت في الحادي والعشرين من آب وكنت الفقير مورخه بهذا الفصح نزلت الى حلب واقمت بها مدة وعاودت الى دمشق ولحقته الى بيروت واجتمعت به فيها وخرجنا

منها حادي وعشرين ايلول وطلعنا الى جبل كسروان واتينا الى قرية بكفيا والمحيدثة وقدسنا في كنيستها نهار الاحد الاول من لوقا واتينا الى دير مار الياس وقدسنا فيه ورحنا الى قرية الشوير والى بسكنتا تحت جبل لبنان وقدسنا في كنيستها ومنها الى كفرعقاب وقدسنا في كنيستها الجديدة بعد تكريسها وتهدّم هيكلها وذلك نهار الاحد اول تشرين اول وعاودنا الى المحيدثة وقدسنا بها مرتين ثم اتينا بكفيا ونزلنا الى بيروت نهار الجمعة السادس عشر من تشرين الاول وخرجنا منها صحبة يواصف مطرانها

ونزلنا في البحر ١٨ تشرين الاول واصبحنا في مينا طرابلس وطلعنا الى المينا وجاء كل المسيحيين صحبة مطرانهم كير يواكيم استقبلونا وبالعز والسرور دخلنا وصلينا وقدسنا فيها نهار احد الجندسايرين وطلعنا الى حارة الجبل[1] وقدسنا في كنيسة القديس مار ميخائيل نهار عيده ٨ تشرين الثاني ثم مضينا لزيارة دير السيدة في كفتين وقدسنا فيه نهار الاحد ١٩ تشرين الثاني وشرطن الخوري الياس المرمنيتي مطرانًا على صور وصيدا وسماه ارميا

وخرجنا منها نهار الاثنين في عشرين تشرين الثاني لنطوف بلاد الكورة وزرنا اولاً دير القديس يعقوب المقطع وقدسنا فيه نهار عيد دخول السيدة للهيكل ثم اتينا الى دير الفالمند وقدسنا فيه

(١) المراد بها حارة القبة ويقال لها اليوم حارة قبة النصر وهي حي من احياء مدينة طرابلس معروفة مع الكنيسة الباقية الى اليوم

وهو دير معظم ملوكي ورأينا في ذلك الوقت الرمان مزهرًا والانجاص والتفاح والقراصيا مزهرًا وعاقدًا يوكل لان هذه عادة شجر بلاد الساحل يحمل مرتين في السنة[١] تبارك الله . ثم خرجنا من الدير واتينا قرية قلحات ومنها الى فيع وقدسنا فيها واتينا الى قرية بطرام المشهورة بنساخها وقدسنا فيها نهار الاحد ومضينا الى دير سيدة الراس بقربها وقدسنا فيه ورحنا الى بدبا وعاودنا الى بطرام ومنها الى قرية اميون المشهورة بعلمائها واقمنا فيها جمعة ومنها مضينا الى كفرعقا والى كوسبا ومنها الى دير حماطوره المقدس والطريق اليه عسير جدًا وهو نقر في مغارة وفي اعلى الجبل دير مارجرجس له ايضًا ومنه طريق بلاد بشري ثم خرجنا واتينا الى قرية كفرقاهل والى دير مار الياس في النهر وعاودنا الى دير الفالمند ومنه الى دير الناطور ومنه الى بلدة انفة ومنها الى حامات وطلعنا الى سيدة النورية عند وجه الحجر ومنه الى البرج والى حامات وعاودنا الى طرابلس وعملنا فيها عيد الميلاد والغطاس وخرجنا ونزلنا الى البترون والى عبرين والى كفرحلدا والى الكفور تحت جبل لبنان حيث اعشاش النسور واصطادوا لنا واحدًا واخرجنا دهنه ومنها الى دوما ومنها الى تولا قرية المقدم علي[٢] ومنها الى بجماز والى غرزوز

---

(١) ليس من عادة الشجر في ساحل الكورة ان يحمل ويثمر دفعتين في السنة وانما بعض الاشجار تخلف اثمارًا قليلة على ما هو معلوم

(٢) المراد بهِ الشيخ علي حمادة اذ كان يتولى يومئذٍ مقاطعة بلاد البترون

والى شيخان والى جبيل والى غزير ورجعنا الى الديارة وعاودنا الى عبرين واتينا الى دير كفتون وقدسنا فيه نهار الثلثا الصوم المقدس ومنه عاودنا الى مدينة طرابلس نهار الاربعا ثاني يوم

ثم ودعنا الطرابلسيين وخرجنا من عندهم نهار الخميس من الجمعة الثانية من الصوم المقدس وتوجهنا الى بلاد عكار واتينا الى بقرزلا ومنها الى عرقا والى جبرائيل ذات الكنيسة اللطيفة التي يخرج من تحت مائدة هيكلها ماء تجري في وسطها الى خارجها تبري المرضى وقدسنا فيها الاحد الثاني من الصوم واتينا الى خنيقة والى رحبة واقمنا فيها جمعتين وقدسنا فيها نهار الاحد الثالث والرابع من الصوم ومضينا منها الى عياث ورجعنا الى عين يعقوب وبزبينا وكانوا خراباً وعدنا الى رحبة وخرجنا منها يوم الاثنين من الجمعة الخامسة من الصوم المقدس ورحنا الى السيسنية والى البويضا ومنها رجعنا الى صافيتا وقدسنا في كنيسة مار ميخائيل المعظمة في البرج المشهور نهار السبت الخامس ورجعنا الى السيسنية وقدسنا فيها الاحد الخامس ومضينا الى تنورين والى مرمريتا ومنها الى الحصن وتفرجنا على قلعتها نجمة الصبح ومنها الى عناز ورجعنا الى زيارة دير مار جرجس الحميرة وقدسنا فيه احد الشعانين ويوم الاثنين الكبير مضينا الى

وكان بيت حمادة من المتاولة وقد تولى افرادهم قديماً اقطاع بلاد الجبة والزاوية والبترون وجبيل وقد انقرضوا من بلاد البترون من نحو عشرين سنة وكان اخرهم يقيم في قرية كفرحلدا مقابل دوما

قرية رباح ويوم الثلاثا دخلنا افيون

ويوم الاربعا الكبيرة حادي وعشرين اذار دخلنا الى محروسة حماه وعيدنا فيها عيد الفصح عيدًا بهيًا ونهار الخميس خمسة وعشرين نيسان شرطن فيها الخوري عطاالله الامدي مطرانًا على آمد وما يليها وسماه ثاودوسيوس وذلك بحسب استيهاله واختيار ورضى اهلها وارسالهم اياه (١) .

فاما ما كان من امر مطران حلب المذكور وما جرى في مطرانيته من باغض الخير ومحب الشرور وما زرع خزاه الله من المقالات والفتن بينه وبين ابنا حلب فانهم رفعوا في حقه الى السيد البطريرك دعاوى وشكايات غير لائقة وبالتواني في حقهم وشانهم وعدم الائتلاف والموافقة وقلة الاحتفال في تدبير الكنيسة كما تقلدوا وانه غير طائع لرئيسه ولاجل ذلك لم يطعه المسيحيون

(١) لم يذكر الشماس بولس زيارة والده لمدينة حمص لانها ربما كانت حينئذٍ بغير مطران بعد موت مطرانها تيلوثاوس وقبل رسامة ابن عميش الكلسي الاصل الحلبي المقام الذي شغل كثيرًا فيما بعد بال الشماس بولس وابيه البطريرك بما فعل في دمشق في مدة غيابهما عنها كما سياتي تفصيل ذلك ولعل مكاريوس باهماله زيارة هذه الابرشية والاهتمام بانتخاب راعٍ موافق لها نال جزاءه من نفس عمله كما فعل بانتخاب وطنيه الثاني مطرانًا لحلب وكان كلاهما قبل رسامتهما متزوجين وكان ابن عميش مطران حمص مقترنًا باخت مطران حلب على ما سياتي ذكر ذلك وربما كان له عذر بعدم وجود شخص اكثر اهلية وهو الغالب عند انتخاب المطارنة من الكهنة المتزوجين

ولم يتم بينهما هدو ولا سكون لانهم قالوا انه لم يقتفي طريق معلمه وسلوك من كان قبله وتقدمـه ثم صعب ذلك على السيد البطريرك جدًا وحصل عنده غيظ لم يكن له حـد فارسل يوئنبه وعن المطرانية منعه بموجب اصطاتيكون من قبله قطعه فيه ثم بعد الرباط حرمه حرمًا قاطعًا قائلًا له في حياتي وبعد ممـاتي تكون محرومًا ومن الله بعيدًا ولاجل ذلك صحي الاسقف من سكرته وفاق من غي جهالته وقام وجآء لاقاه الى حمـاه وهو مريض مما كابده وقاساه فونبه البطريرك حينئذٍ كثيرًا وذمه وقرعه واوقع به من التوبيخ ما ليس بيسير فاقر معترفًا بذنوبه وتاب واشرط على نفسه انه عن كافة صنعهِ رجع وآب على يد مطران حمص ومطران حماه اللذين كانا دايمًا يشفعان به وحلف عن الخمر والمسكر وعن سائر ما نقل عنه بالخضوع والاذعان وكتب على نفسه بخط يده تمسكًا بانه عن جميع ما ذكر متنزه وتارك واستغفر عما صدر منه فباركه حينئذٍ البطريرك وحله وصفح عنه

وجآء الى حلب ودخلها اول شهر حزيران سنة ٧١٥٨ لابينا آدم (١٦٥٠ م) وقام فيها مـدة الى ان هدا الهياج وخرج منها يوم عيـد دخول المسيح للهيكل متوجهًا نحو الشام فدخلها اليوم الحادي عشر من شباط وحاسب الكهنة والاعيـان والاكليروس فيها على ما اورده لهم في هذه الدورة ارساليات فكان اكثر من ستة الاف غرش فدفعوا من اصل الدين منها جانبًا والباقي اعطوه

رباء ومكاسب. والدين ما زال ينمو عليهم ويزيد بتواصل خسارة الكنائس وغيرها لحكام البلاد وفي غد عيد العنصرة ثالث شهر حزيران شرطن الخوري ابرهيم ابن عميش الكلزي مطرانًا على مدينة حمص وسماه اثناسيوس وكان الاليق ان يُسمى كما قلت له آريوس وذلك برضى اهلها واختيارهم له وبعد قليل من ذلك زرع الشيطان بينه وبينهم زوان القساوة والبغضة وصدر فيما بينهم اقاويل كثيرة اكثر مما سلف فيما بين اهل حلب ومطرانهم وذلك لعدم حسن سلوكهما وقلة عرفانهما وربما بمخاتلة اخذا الشرطونية ولم يضمرا ضميرًا صالحًا ولا نويا خير نية فخاب حينئذٍ امل السيد البطريرك فيهما لانه زعم لاجل انهما حلبيان رام ان يخلفهما ليزداد افتخاره بهما وسياتي في هذا المجموع مفصلًا اخبارهما

وكان يومئذٍ بشير باشا حاكماً في الشام فقابله السيد البطريرك وقدم له هدية فقبلها منه واكرمه غاية الاكرام وفي اثر ذلك جاء الى عند السيد البطريرك من اهل غزة جماعة يشكون له اخبار بعضهم الشنعة المشاعة بان اكثرهم خرجوا من الديانة عن الايمان وهم يتبعون بعضهم بعضًا بتركهم للديانة وذلك بسبب الخراج الذي كان عليهم وقدره اربعماية وخمسة وثمانين اسماً كان يلزمهم بهِ من يرسله باشا الشام كجاري العادة بالحجاج لانهُ مفوض بجباية الجزية منهم ومن بقية ايالة الشام من الخراج وفي هذه السنة بلغ خراج اهل الشام الى ثلاثة عشر غرشًا وكان يتعين على خراج القدس

وعلى المذكورين اغا كبير مستقل بفرسان كثيرين يطالبهم بخراج الاسامي المذكورة وكان المساكين الغائبين والحاضرين لا تزيد انفارهم عن ثلاثين واعلنوا للبطريرك ضميرهم بانه ان لم يتحنَّن عليهم ويخفف ويسقط هذه الاسما الزايدة والا يرحلوا ويتركوا مواطنهم او يخرجوا من دينهم حسبما فعل غيرهم فتحنَّن عليهم وخاف على كنيستهم السمية اركانها الرومانية القديمة التي عمرها القديس المعظم بورفيريوس مطرانها لئلا يرحلوا او يجحدوا دينهم ويتركوها وتاخذها الامم من بعدهم ويملكوها فشفق عليهم وباشر امرهم واسقط عنهم ماية وواحد واربعين اسماً مما كان في الدفتر السلطاني مدوناً ومسطراً لما توسل في شانهم للوزير بشير باشا لان باشا الشام مفوض في الخراج والعوارض بان يفعل ما يشاء وصرف السيد البطريرك على هذه الواقعة والاسقاط الفين غرش حذراً مما ذكر واحتياطاً ووعدوه بانهم اذا ظفروا بأمولهم يرسلوا له ما انفق عليهم الا انهم استبانوا في البعد غير شكورين ولصنع الخير معهم والجميل ناكرين لانهم بعد ذلك ارسلوا له جزءاً يسيراً من تلك النفقة واكلوا البقية وظنوا انها صدقة وهو لاجل انه رجل ساذج كان يصدقهم ومن حال الاصل كانوا يقولون ان نفقتهم معهم فطلعوا كاذبين في قولهم ٠

فعاد حينئذٍ اهل الشام يقولون لهُ هذا الصنيع الاليق ان يكون لنا نحن رعيتك دون الغير مفيداً فاهتم حينئذٍ ايضاً بهم

وجد واجتهد واسقط ماية وعشرين اسماً عنهم وعن اهل قارا خمسة عشر اسماً وكذلك عن اهل معرونة وثلاثين عن اهل يبرود وخمسة وثلاثين عن اهل دير عطية ونحو اربع خمس الاف غرشاً تكلفوا وجمعوا من ذلك جانباً والباقي للاب السيد البطريرك كلفوا وكان ذلك منه لطلب الاجر والثواب وشكر الله على تاهيله لهذا الخير بعظيم منحة الوهاب وبهذه الكلف والامور صار عليه الدين متزايداً وتعب كثيراً بنمو الفوائد .

وفي اليوم الاحد في ١٣ ت ١ سنة ٧١٥٩ (١٦٥٠ م) شرطن الخوري فرح البيروتي مطراناً على بيروت برضى اهلها لهُ وتوسلهم وسماه فيلبوس كاختيارهم لهُ وارسالهم له .

وفي يوم عيد الغطاس شرطن الخوري سليمان ابن الخوري فرج‌الله الحلبي كاثوليكياً على قلاية البطريركية بدمشق بعد رهبانيته وشرطنتهِ شماساً وكاهناً وسماه سلفستروس .

وفي عاشر كانون الثاني شرطن الخوري عازاريا الطرابلسي الذي كان رئيساً على دير سيدتنا السيدة ذات الاكرام المشهورة بسيدة الراس بقرية بطرام مطراناً على مدينة بعلبك وذلك برضى اهلها واحضارهم لهُ وسماه انطونيوس .

وفي يوم احد الجديد سادس عشر ايار من السنة المذكورة شرطن تلميذه جراسيموس بعد عودته من بلاد الكرج مطراناً على كرسي الزبداني والفرزل .

ولما نظر الاب السيد البطريرك تكاثر الديون وتفاقمها وازديادها على الكرسي الانطاكي وتراكمها جمع جماعة المسيحيين واستشارهم فاتفق حينئذٍ ان يقوم يتوجه الى بلاد المسيحيين ويتم قصده وخصوصاً لما ارسل فاسيلي بك ويوضة بك البغضان [1] يستدعيه الى عنده ووعده باعانته ووفاء دينه ورفده اذ مثل هذه الخيرات كان دائماً يعاني وقد وفى دين القيامة المقدسة ودين الكرسي القسطنطيني ودين البطريرك الاسكندري فارتأى حينئذٍ اتمام الراي واختار سلفستروس المذكور الذي جعله كاثوليك ان يكون له نائباً ووكلهُ مكانه

(١) البغضان احد قسمي مملكة رومانية الحالية واهلها نصارى اكثرهم تابعين الطقس اليوناني والكاثوليك فيهم نحو ١٦٠ الفاً وكانت هذه البلاد في عهد مكاريوس تابعة لتركيا من عهد السلطان سليمان الثاني مع استقلال واسع بادارتها وشرائعها واحكامها اوسع من استقلال مصر في ايامنا اذ كان اعيان ورؤساء الكهنة يختارون الحاكم اميرًا منهم يقلده السلطان حكم البلاد بفرمان مع لقب بك ويسمى حكمدار وعصبدار وفي لغتهم يوضا (Vaïvode) يتعهد بدفع الجزية للسلطان ولا يحاربه ولا يحارب مع من عاداه لكن فيما بعد صار الباب العالي يرسل الحاكم من الاستانة يختاره اعيان البلاد من يونان الفنار الى ان انضمت هذه البلاد الى الفلاخ سنة ١٨٥٩ وتألفت منها مملكة رومانية الحالية باستقلال تام بمصادقة دول اوربا سنة ١٨٧٦ ومن ثم كانت هذه البلاد في عهد مكاريوس اقدم عهدًا بالنصرانية واعظم شأناً من روسيا وامراؤها اكرم يدًا على الكنائس الشرقية وقد بلغت اوقافها في رومانيا مبلغاً عظيماً لم يستطع رجال حكومة رومانيـة ان يدعوا رهبان اليونان في

وخرج حينئذٍ من دمشق نهار الخميس حادي عشر شباط سنة ٧١٦٠ لادم (١٦٥٢ م) وللهجرة الاسلامية سنة ١٠٦٢ ودخل حلب في العشرين منه سحر الجمعة بكرة وهذا الحضور الى حلب كان ثاني مرة وكان بشير باشا فيها حاكماً لانه كان عزل من الشام فقابله وهاداه فقبل منه ذلك وبالاكرام باداه وعيد فيها العيد السعيد اعني عيد الفصح المجيد وفي تلك الجمعة بلغه نياح سلفستروس بالطاعون فارسل فوض الوكالة بعده للمطران جراسيموس كالقانون

ويوم احد جميع القديسين الكائن بعد العنصرة ثالث عشر حزيران شرطن الخوري ناصر الحموي على كرسي عكار ورحبة مطرانًا وذلك برضا اهلها والطلب له واحضارهم له الى مدينة حلب وسماه نيقولاوس

القدس وطورسينا وجبل اثوس وغيرها ان يستولوا على ايرادها وقد بحث مؤتمر باريس في حل مسالة هذه الاوقاف واحال ذلك الى لجنة دولية ولما تالفت اللجنة عرضت حكومة رومانية تعويضاً مالياً عن هذه الاوقاف ماية وخمسين مليون غرش ليستحلوها فابى المصادقة على ذلك بطاركة اليونان كلهم فطرد حينئذٍ وكلاء الاناطيش اليونان من رومانية ومنع استعمال اللغة اليونانيـة في كنائسها وصارت تصرف ايراد هذا المبلغ على الاديرة والمدارس الرومانية التي انشاتها في الاستانة وفي جبل اثوس وغيرها

وبعد ذلك بثلاثة ايام شرطن الخوري ميخائيل ابن مهنا الحلبي مطرانًا على طرابلس وبلادها وذلك برضا اهلهـا واحضارهم له وسماه ملاتيوس

ثم ان الاب السيد البطريرك صمم العزيمة بأحسن همة واصلح نية للتوجه الى القسطنطينية فتهيا حينئذٍ واخذ جميع ما يلزمه من هدايا وارمقان وما يحتاج اليه واعتمد بالله تعالى واتكل عليه وخرج من حلب عشية الخميس تاسع عشر تموز نحو اللادقية وجبلة ليجمع النورية ويعاود الى انطاكية وخرجت انا مورخه وبقية الارفاق[1] يوم الثلاثا سحرًا عيد النبي مار الياس ووصلنا العصر الى قرية

(١) لم يذكر الشماس بولس اسماء رفاقه في سفرته وانما عندي كتاب افخولوجيون مخطوط كتبه احدهم في بلاد الفلاخ وفي اخر الكتاب علق حاشية توضح المراد وهي : وكان النجاز من نساخة هذا الافخولوجيون المبارك نهار الثلثا في ٣ من ايار سنة ٧١٦٢ لادم (١٦٥٤ م) على يد احقر العباد الخوري سابا رئيس دير الفالند ابن يوسف بن الشماس يعقوب بن الحاج مخائيل من عيلة بيت الاعرج من قرية عفسديق من عمل طرابلس الشام . . . وقد كانت كتابته في قرا فلاخ في صحبة السيد البطريرك الانطاكي كير مكاريوس ادام الرب قداسته ووطد كرسي رياسته وكان مجمع (اي مع) المذكور ولده الشماس بولس والخوري موسى الباياسي والشماس غريغوريوس وعازار والحاج نقولا وبطرس الله يغفر لهم . . . وذلك ان باك (بك) قرا فلاخ تنيح الى رحمة الرب وكان اسمه متى ووقف بالكرسي موضعه قسطنطينوس ويوحنا وكان سرور عظيم في تملكه عند الكبار والصغار الله ينصره على اعداه المنظورين وغير منظورين وكان جلوسه في ١٠ نيسان من تلك السنة . . .

تدعى مرلحوان وسحرًا قمنا واتينا الى حارم والى غزارين وهي
قرية بقرب جسر الحديد على حافة العاصي ونمنا فيها

ودخلنا انطاكية يوم الخميس ٢٢ تموز وحضرنا فيها قداس
الاحد السابع بعد العنصرة وتوجهنا لزيارة دير القديس سمعان
العجائبي البحري في الطريق المستقيم الروماني القديم لانهم فتحوه
في هذه الايام جديدًا وكان قد نُسي على طول الزمان وكم مرة
في السنين السالفة كنا لما نطلع لزيارة هذا الدير المقدس كانوا
ياخذونا على طريق السويدية على كنيسة مار سبيردون لما قطع
اعداؤه رووس حميره مكانها ونبات في قرية الزيتونية ومنها نطلع
الى الدير في طريق عسر جدًا وحرش عظيم . واما هذا الطريق
فهو سهل مستقيم قريب وكان سيدنا البطريرك يسأل مرارًا عنه
من استدلاله عنه من خبر القديس وما فُتح وعرف لهذه السنة
الحمد لله لاننا انشرحنا فيه لكون عدينا على دير القديس الذي
نسك فيهِ اولاً وهو صغير وعاموده طوله ستة اذرع وهو بعدُ
باقي ووصلنا الى دير القديس الكبير العصر وعملنا فيه اغربنية
وباراكليسي في كنيسة الكاثوليك لان فيه سبع كنائس واكثرها
قطع حجر ولسوره اربعة ابواب اكبرهم الباب الموجه الى بحر
السويدية وهو حصين جدًا ونهر العاصي منحدر من شرقيه في
اسفل الوادي ويشاهد وهو داخل في البحر عند الجبل الاقرع
ومنه تستقي المراكب ثم قدسنا فيه . وعاودنا الى انطاكية ويوم

الخميس ٢٩ تموز جا سيدنا البطريرك لانطاكية واقام فيها ستة ايام وقدس فيها ستة قداسات واستكرينا لادنه وخرجنا منها عشآء ليلة الخميس ٥ آب واصبحنا في بيلان والعصر اتينا الى الاسكندرونة وهي ليلة عيد التجلي واستقبلنا فيها القبارصة باحسن اكرام وحضرنا في كنيستهم الاغريقية وحين الايصودون دخل كل الكهنة اخذوا كيرون وابدلوا وداروا في الايصودون حسب عادتهم مصلين ايها النور البهي . وسحرًا قدّس سيدنا البطريرك وعشيه خرجنا منها واصبحنا في باياس نهار السبت وقدس سيدنا البطريرك الاحد الثامن من بعد العنصرة ثم يوم الاثنين والاربعا

ومنها توجه الى الاماكن المقصودة البغضان والولاه وسائر بلاد مملكة المصكوف وبلاد الكرج . نرجو من الله تعالى ان يكتب له سلام ويحفظه والجميع من معه ثم ان الارشيدياكون الشماس بولس قد صنع تاريخ بكتاب كبير عن جميع ما راوه وعاينوه في البلاد والممالك وهو كروض زاهر ونزهة لمشتاق آمين [١] .

(١) الى هنا تم ما في النسخة الحلبية مقابلًا على نسخة باريس التي لا وجود فيها لقوله : ومنها توجه الى الاماكن المقصودة اذ اعتاض فيها المؤلف عن ذلك بوصف هذه البلاد وما شاهد فيها وعرفه من تاريخها وصفًا مطولاً لا يهم كثيرًا قرآء المسرة ولذلك نلخصه الى ان بلغ بعودته مع والده الى كلس او كلز بعد عيد الفصح سنة ١٦٥٩ ومن ثم يكون قد قضى في هذه السفرة كلها ست سنوات وبضعة اشهر لا ثلث سنين كما وهم المترجم الرومي واعل

في النسخ التي اعتمد عليها خطأ فقد بلغ البطريرك مكاريوس مع حاشيته القسطنطينية في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٥٢ وزار كنائسها واثارها القديمة وتركها في ٧ كانون الثاني سنة ١٦٥٣ قاصداً ياسي عاصمة بلاد البغدان واقام فيها تسعة اشهر بضيافة داعيه الكريم باسيلي بك اميرها وبسبب الحروب التي كانت يومئذٍ بين اهل البغدان والكوزاك لم يتوفق البطريرك لنيل كل ما كان يومل من المساعدة ولذلك ذهب الى طرغشتا عاصمة بلاد الفلاخ الصيفية واقام فيها نصف سنة بضيافة الامير متى حاكمها الذي حضر وفاته وقيام خليفته قسطنطين كما ورد في الحاشية السابقة وبسبب ما كان حينئذٍ من الفتن ذهب الى بوخارست العاصمة واقام فيها نحو اسبوعين بضيافة الامير الجديد قسطنطين المذكور ثم ذهب الى مدينة كيف عاصمة بلاد الكوزاك التي كانت من قبل خاضعة لملوك بولونيا التي يدعوها بلاد اللاه على ما جرى عليه كتاب العرب وكانت يومئذٍ تحت حماية قيصر روسيا ولم تكن بعد قد دخلت في حكمه ثم ذهب البطريرك الى مدينة موسكا او موسكو عاصمة الروسية يومئذٍ واقام فيها مدة طويلة بضيافة القيصر الكسيوس مخائيلوفتش (ابن مخائيل رومانوف) والد بطرس الاكبر وقد نال من كرمه واكرامه له ما لم يكن يرجوه منه ومن رجال دولته ومن نيكون بطريرك موسكو وباقي الاكليروس حتى لما دعاه القيصر المذكور بعد ذلك بعشر سنين لعقد مجمع اصلاحي مع باقي البطاركة لبى الدعوة بنشاط وشوق مع ما في هذا السفر الطويل من المشقة والاخطار في تلك الايام ومع ما كان عليه البطريرك من وهن الشيخوخة وكانت الروسية يومئذٍ في اول عهدها بطور الفتوة ولم تكن على شيء من ضخامة الملك الذي بلغت اليه اليوم فقد كانت من قبل خاضعة لملوك التتر تدفع لهم الجزية ومن بعد ان تخلصت من اذاهم اهاجت

كالاولاق[1] الى بيت عميش كالمبشر فلم يصدقوني ولما نظروني كانوا كالمتحيرين غير متحققين لان خبرنا كان قد انقطع وقالوا عنا اننا قتلنا في الفلاخ في فتنة قسطنطين التي اخبرنا عنها وقتل في الدير الذي كنا

الكوزاك واثارتهم على ملك بولونيا حتى اصبحت اليوم المالكة لاكبر قسم من هذه المملكة العظيمة بعد ان اقتسمتها مع جيرانها ولم يخبرنا الشماس بولس عما صار بحضوره في تلك البلاد من الحوادث الدينية المهمة الا وصف الاحتفالات والقداسات التي كان يقوم بها ويشترك فيها مع اكليروس كل بلد مع انه ابتدأ من ذلك الزمان اضطهاد الكاثوليك الذين استولى عليهم وعلى بلادهم القيصر المذكور وقد كان منهم في بولونيا من التابعين للطقس اليوناني ١٢٬٠٠٠٬٠٠٠ اثنا عشر مليوناً لكنه اشار الى ذلك بما يكفي للدلالة عليه فيما يخص الكاثوليك التابعين الطقس اللاتيني اذ قال ما نصه : وعقد البطريرك الروس نيكون مع مطارنته بحضور والدي البطريرك مكاريوس مجمعاً بشأن اعادة معمودية اهل بلاد اللاه فكتب مكاريوس في هذا الامر كراسة وقدمها لهم وجادل روساء الكهنة كثيرًا وغصباً عنهم وبشهادة نواميسهم اذعنوا للحق قهرًا بعد جدال طويل ثم دفع تلك الرسالة للبطريرك وعلم عليها ودفعها للملك وهكذا ترجموها للسان الروسي وطبعوها ووزعوها وخرج بموجبها خط شريف بمنع معمودية اللاه وكل الافرنج تبع البابا لانهم اقرب من كل الملل الينا وهكذا تم القول وكمل المجمع ...

ومن الغريب ان الروس لم يزالوا على هذا الى اليوم اذ لا يعيدون عماد من ياتي اليهم من اللاتين لكن اخوتنا الروم يعيدون عماد كل من ياتيهم من الكاثوليك ولا يهمهم ناموسهم القديم ولا كلام مكاريوس ولا قول بولس الرسول القائل : المعمودية واحدة

(١) المراد بالاولاق سعاة البريد وهي لفظة تركية

فيه جميعهم وفرحوا بقدومنا اليهم نشكر الله على سلامتنا

وبالحال كتبنا مكاتيب الى الشام وحلب ولبقية البلاد وارسلناهم مع ساعي يخبرهم بقدومنا وهكذا كان النصيب لانه ما كان في خاطرنا الا بان نروح من طوقات على قيسارية ومنها الى ادنه والى انطاكية على باب المضيق الى الشام فلم نجد رفاقا ولم يكن لنا نية بالمجي الى حلب قطعا وذلك لاجل كثرة الشرور والنفاقات التي انشاها مع المسيحيين عدو الله مطروفانوس بن القس بشاره مطرانها الذي كانت شرطونيته بتخلي من الله على اهلها لانه لما استفرص غيبة السيد البطريرك مدّ للشر والبغي ذراعه وخسرهم خسارات كثيرة خصوصاً في زمان بشير باشا ادعى ان له عليهم دراهم دين ستة او سبعة الاف غرش على ما اخبرونا والزمه الى جمعها منهم . فجمعها بالضرب والقتل وجعل بيت المطرانية قناق للاغاوات وماوى للفسق والحبس وهو لا يترثى لاحد وكان منهمكاً في المعاصي والقبائح ودنّس رئاسة الكهنوت بتلك الامور التي كانت واذلت النصاري وبشير باشا اخذ الدراهم بجملتها واعطاها علوفه للصارجا والسكمان[1] وما اعطاه شيئاً منها اصلاً فانظر الى اعمال هذا الكافر المبعود من الله والى هذا الكفر والنفاق الذي بلغ

(١) الصارجا من الوجاقات العسكرية القديمة في الدولة العثمانية قبل انشاء الجنـد النظامي الحالي وكان الوزير او الوالي يلتزم بتقديم العلوفة لهم وكذلك السكمان .

بهِ الى هذا المقدار وذلك انه فرض هذه الخسارة على دفتر الخام الذي كانوا يجمعونه كل سنة من المسيحيين في صيام الميلاد للفقرا وكانت عادة حسنة من زمان المرحوم البطريرك افتيميوس المشهور بكرمة وفي زمان سيدنا البطريرك لما كان مطرانًا زادت وفي ايام هذا الكافر كان هو سببًا لابطالها للسبب الذي ذكرناه لانهم كانوا يمسكون المسيحي ويقولون له انت اعطيت العام الماضي مثلًا خمس اثواب خام او دون ذلك وهـذا يشهد عليك بانك دفعت عُشر مالك عن كل عشرة واحدًا وفعل مثل هذه القبائح يطول شرحها وجاهر بالقبائح والمعاصي والسكر وغير ذلك وجعل صيت الروم عند بقية الطوائف هزءًا وسخرية وكان في زمان المرحوم كرمه يعمل هكذا وهو يضبط محصول الكنيسة بذاته ففي ابتدا مطرانية سيدنا البطريرك اشاروا عليه بان يعمل اربعـين وكيلًا وكل سنة يقف اثنين منهم لوجه الله يخدموا الكنيسة من يوم عيد الاربعين شهيدًا الى مثله واستمر ذلك على هـذا المنوال والدنيا بخير الله وخوابي الزيت مملوة سنة على سنة والشمع بالقناطـير وخزانة الكنيسة معمرة من كل شي الى زمان المشار اليـه وفي مطرانيته انتقلت الامور الى ان صارت الوكلا تصير بحجج شرعية وبيوردات باشاوات بمشاجرات ومشارات وباكياس دراهم وحمايات الى ان جرّوا على الكنيسة الوف ديون لا جزاهم الله خيرًا . فكل هذه الامور والاحوال لما سمعناها في كلز اغتظنا كثيرًا خصوصًا

سيدنا البطريرك فانه كان لا يزال يحرمه ويدعي عليه من كل قلبه وكان في ابتدا مطرانيته ارسل قطعه من كهنوته ومضى الى عنده الى حماه وتوسل الى كثيرين وعاهد الله وحلف باقسامات عظيمة عن الخمر والعرق وباقي المسكرات وكتبنا عليه بذلك تمسكات شرعية بشهادة من اكابر حماه وعلمائها حتى انه صفح عنهُ الا ان المسيحيين في حلب زادهم جريمـة بسبب قراءة اصطأتيكون قطعه وحرمه وذلك من عوانية ابنهِ(١) واقرباه فلما جاء مع سيدنا البطريرك الى حلب عاد الى حاله الاول ونقض ايمانه سرًّا فلاجل ذلك كان معكوسًا دائمًا ولكثرة مداومته للمسكر ابتلي بالامراض والاسقام ولا زال كذلك الى ان اهلكه الله بداء الزنطاريه كما سياتي

وكنت انا الفقير كاتبهُ قد أرسلت للبيت مع الساعي اوصيتهم فيه بان لا يعطوا خبر مجيئنا لاحـدٍ ولكن طلبت ولديَّ حنانيا وقسطنطين لانظرهم وأبلَّ شوقي بهم من بعد زمان هذا مقداره وهو سبع سنين الا ثلاثة اشهر تمامًا فلما توجه عمي الحاج الياس

(١) يراد بالعوانية حال بعض السفلة المرتكبين الذين كانوا يعاونون الحكام على تغريم الناس المال ظلماً وكانوا اشبه بالجواسيس مما بالبوليس السري في هذه الايام ولا غرابة بدخول ابن مطران واقاربه في هذه الجاسوسية لايقاع الضرر في طائفتهم انتقاماً للمطران وتعصباً وتحزباً له حتى يضطروهم ان يطلبوا من البطرك رفع الحرم عنه ومن هنا يُعلم ان الحاجة كانت تدعو في ذلك العهـد الى انتداب كهنة مزوجين ارامل الى رياسة الكهنوت لقلة الرهبان ذوي الاهلية واللياقة

باولادي وجا لعندنا شاع الخبر في حلب فاسرع المحبين من المسيحيين ومن الكهنة والشمامسة ومن غير طائفة بالمجي الى كلز لعندنا يسلمون علينا ويتوسلون الينا بان نجي لعندهم لان قلة مجيء سيدنا البطريرك لعندهم شين عليهم وعيب في بقية البلاد اذا سمعوا بقدومه واجتيازه عنهم وهي بلدته ومدينته واما المحروم المبعود من الله الذيب الخاطف الذي بدد خراف المسيح وسلمهم لفم الذياب لما بلغه قدومنا تمارض وترنطر ومات لا حقيقًا ونام طريح الفراش وارسل يستعذر عن المجي بانه ضعيف ثم قدسنا يوم الاحد الجديد في كلز بكل ابتهاج وحبور واقمنا فيها مقدار خمسة عشر يومًا وقد اقلقنا القادمون من حلب من الكهنة والاعيان فانعطف لرأيهم على شرط ان يجمع نوريته المستحقة عندهم ومهما تكلف لخدمة الباشا وسائر الهدايا يكون عليهم [١] وهكذا تعاهدوا بذلك وخرجنا من كلز بجوائج قليلة والبقية اودعناها .

ولما وصلنا الى قرب حلب عند قرية بليرمون نزلنا لنقيم هناك لعشية وندخل سرًا فسمع المسيحيون من سائر الطوائف

(١) المراد بخدمة الباشا المال الذي يقدم له من دون عوض ولا مقابل بمعنى رسم عبودية محضاً وهذه الخدمة كما ترى كانت تحسب على البطريرك قبل كل شيء او كما يقال في راس الدفتر ويليها الهدايا التي يجب ان تقدم لاتباع الوزير ولاعيان البلد

فخرجوا باجمعهم لملاقاتنا ووصلوا لعندنا متقاطرين على بعضهم بعض فلو اننا ندخل لحلب بحال وصولنا كان اوفق واستر لان في نزولنا خرجت الخلائق بزيادة فلزم الامر ان قمنا وتوجهنا نحو المدينــة وكان النسآء قد وصلن لقرب الخناقية ولم نقدر ان نشق جسر باب قبة من زحمة الخلائق الملاقين ولولا الينكجارية واليسقيّة[1] كانوا قدامنا ماشين بالعصي ما كنا نتخلص ولما اقبلنا على ترب المسيحيين من بعيد نظرنا الفضآء قد امتلا من الخلائق وما تخلصنا الا بالجهد ولم نقدر ان نمضي الى الكنيسة كحسب العادة من الزحمة ولاجل انه كان صار مسآء وكان كهنة الطوائف قد تهيروا ببدلاتهم لكثر محبتهم الله يرضي عليهم وجاء لاقانا المطران المشار اليه وهو يرجف ويرتعد بحالة يرثى لها ويناح عليها شهد الله من تغيير سحنة وجهه

(١) الينكجارية ويقال لهم الانكشارية هم جند الجيش السلطاني وضع نظامه السلطان اورخان فكان مرتباً لمحافظة حدود السلطنة ومنه كان الحرس السلطاني تألف اولاً من شبان النصارى ومن مواليد اسرى الحرب الذين تربّوا ونشأوا على دين الاسلام ومتابعــة الاتراك في حروبهم وهم مقيدون بخدمة السلطان بالجندية ولهم علوفة ممتازة عدا ما يتناولونه من المطبخ السلطاني او الوجاق الخاص بهم الذي ينتسبون اليه ويجتمعون فيه للمشاورة في كل امر وقد كثر عددهم في الاستانة وسواها الى ما يزيد على ١٥٠ الفاً وبلغ منهم الاستبداد والفساد مبلغاً بعيــداً حتى كانوا يقتلون الوزراء والصدور ويخلعون السلاطين ويجاهرون بالعصيان متى شاؤوا الى ان اوقع بهم السلطان محمود الثاني سنة ١٨٢٦ وزالوا من الاستانة ومن باقي الولايات

ما كنا نعرفه وهو ماشي بين اربعة تحمله ساجداً متوسلاً ولكثرة الزحمة اخذوه بين ارجلهم وهكذا دخلنا للقلاية المطرانية واسترحنا ورمينا همّ السفر من بالنا والحمد لله على سلامتنا ووصولنا الى الاوطان واجتماعنا بالمحبين والاصحاب والخلان وكان دخولنا الى مدينة حلب عشية الخميس ٢١ نيسان

وليلة السبت عملنا باعوتاً الكهنة جميعهم مع الشمامسة في حين الايصودون كحسب عادة تلك البلاد لاجل تذكار العظيم في الشهدا مار جريس في الغد وهكذا لاقوا سيدنا البطريرك كل كهنة الطوائف ببدلاتهم ودخلوه في كنائسهم [1] بكل اكرام وتوقير وفي

ومن حيث انهم تربوا على مائدة السلطان ومرتب لهم وجاق او مطبخ خاص دعوا لذلك وجاق الانكشارية وكبيرهم يلقب في الاستانة شوربجي باشي وفي غيرها شوربجي وبعده عشي باشي وفي باقي الايالات اغا الانكشارية ثم يليه بالرتبة السقاء باشي ولكل منهم له معاون يقال له الكاخية وكاتب يقال اه اليازجي ولما كان مباحاً للنصارى الدخول في هذا الوجاق في الاصل صار يدخل فيه الرهبان والطارنة في بلاد الروملي واليونان وبر الاناضول لاجل الحماية والاعتزاز برجال الوجاق وقد بلغ الحاج كيوان الديراني المورانى مربي الامير فخر الدين وكاخته الى ان صار اغا الانكشارية في دمشق الشام على ما ورد في تاريخ الامير حيدر صفحة ٦٩٤

المراد باليسقية ويقال لهم اليسقجية والقواصة الرجال الذين يحرسون بيوت القناصل ويمنعون الاذى عنهم وعن رجالهم بموجب المعاهدات والبراءات السلطانية للدول الموالية للدولة العلية

(١) في حلب كل من كنيسة الروم والموارنة والسريان والارمن ضمن دار

الغد قدسنا وعملنا باعوت عظيم وتفريق شمع لطلبة الشعب لذلك
واحتفل المسيحيون الله يعمرهم ويبارك فيهم في اكرام سيدنا
البطرك كثيرًا وفي غداه وعشاه لانهم جعلوا تدبيرًا بان يكون
غداه عند واحد وعشاه عند غيره وكانوا يتزاحمون على ذلك حتى
ان في بعض الاحيان كان يتفق اثنان وثلاثة على عمل مائدة
والخيرات كثيرة والسموكات غزيرة وكانوا ياتون ويشتكون له
على مطرانهم وما عمله معهم

وعاود الينا الساعي الذي كنا ارسلناه لدمشق واخبرنا عن
عظم فرحهم بقدوم سيدنا البطريرك وسلامته وجاء منهم مراسلات
تتضمن بان يذهب لعندهم سريعًا ليرتّم احوالهم ويدركهم لانهم
صاروا كالكرم بعد القطاف ويشكون له من مطران حمص ابن
عميش يوصاس الثاني وقبائحه التي فعلها عندهم وما خسرهم لانهم
كانوا قد ارسلوا استدعوه ليقيم عندهم بمقام وكيل فضي وقدس
في الكرسي البطرسي بالصاكو وشرطن وقد وقف بالكاتدرا ذلك

واحدة يقابل بعضها بعضاً بحيث من يكون في هذه الدار يستطيع ان يسمع
الصلاة والوعظ في كل من هذه الكنائس وبسبب هذه المجاورة جرت العادة
منذ القديم ان يشترك المسيحيون من جميع الطوائف بافراح الحفلات الكبيرة
في اي كنيسة منها قبلما انشأ الكاثوليك الكنائس الجديدة بعيدًا عن القديمة
وعن هذا نشأ اهل حلب متآلفين اشد الالفة بعضهم مع بعض على اختلاف
طوائفهم ولو كانوا خارجاً عن بلدهم

بغير اذن صاحب الكرسي [١] وزوج زيجات حرام بقبض دراهم وفعل قبائح عظيمة اعظم من قبائح ابن حماه مطران حلب ولما سمع بقدوم سيدنا البطريرك خزي لانه كان يُصيت علينا باننا متنا كلنا وبان ما بقى يجي قطعاً وانه هو يتبطرك عليهم لا عاش وخان سيده الذي شرطنه كاهن ومطران وكما ان مطران حلب كان مبتلى بحب السكر كان هذا مبتلياً بحب جمع الدراهم والقساوة والشح كما سنبين اخباره مفصلاً

ثم انه انهزم من دمشق الى دير صيدنايا واقام فيه ولبغضة الدمشقيين له لانه خسّرهم دراهم كثيرة للحكام ولعلمهِ بشكواهم عليه لمعلمهم كان يرسل اوراق عوانات للحكام لاجل ضررهم من صيدنايا فارسلنا لهِ للحال مكتوب بان يقوم يجي الى حلب وهكذا قدم الى حلب مسلّماً علينا كير ملاتيوس مطران طرابلس وكير نقولاوس مطران عكار وكير ناوفيطوس مطران اللاذقية وهكذا ترددت المراسلات من دمشق يتوسلون بان يقوم يدركهم ويلحقهم مع سعاة الى ان تقرر الراي وارسلنا جبنا حوايجنا من كلز وشرعنا في التجهيز والسفر نحوهم فدخل علينا بعض مسيحيين

---

(١) ذهاب مطران حمص واحتفاله بالحبريات في الكنيسة البطريركية وجلوسه في الكاتدرا البطريركية ولبسه الصاكو بغير اذن البطريرك مع وجود الوكيل البطريركي ولاسيا طمعه في نيل البطاركية يعد ذنباً كبيرًا في كل شرع وقانون ولو لم يطعن به الشماس بولس كل هذا الطعن

حلب بان ناخذ مطرانهم عنهم ثم عمل سيدنا البطريرك مجمعاً معهم لاجل الوكلا وعزلهم واقام وكلاء غيرهم وحسبوا الدين الباقي على كنيسة حلب فكان سبعة الاف غرش وكان حوائج الكنيسة والبدلات والة القدس مرهونة عند ارباب الدين كل ذلك خسارات كان يخسرها وحده من غير ان يكلفهم . فماذا كان يفعل معه دفعه بيد الحاكم العادل ليجازيه وينتقم منه وطلب منه ان يقوم يروح معه للشام فلم يرد وكان شوراً المي كما سياتي فتركناه وخرجنا من حلب صحبة الحجاج يوم الخميس ٢١ حزيران

ولما وصلنا الى حماه صادفنا بشائر الخير وذلك انه كان في دمشق رجلان كبار احدهم اسمه عبد السلام كاخية الانكجارية واخر اسمه عبد الباقي يازجي الينكجارية كانوا طغوا وتجبروا على السلطنة كثيراً وكانوا مباطنين من حسن باشا الجلالي على الوزير فلما باد المذكور ارسل الوزير خط شريف لقدري باشا باشا الشام يامره بقطع رؤوسهم بالحيلة وهكذا استدعاهم للسراي وقطع رووسهم وارسلهم الى استنبول وشاهدناهم مجتازين بهم لانهم وفروا كثيراً علينا على ما اخبرونا عنهم بانهم كانوا منتظرين سيدنا البطريرك ساعة بساعة وما كان لنا قوة على اشباعهم فازالهم الله ولما هلكوا ارسل الوزير يستحث قدري باشا المذكور بان يقطع رؤوس الاشقيا من الينكجارية المشهورين بالشقاوة والافتراء دايماً على السلطان والوزير فقطع رووس جماعة منهم وانهزم الباقين

وتبددوا في بلاد اليمن ومصر وعند العرب وكان قد ارسل الوزير قبل ذلك شوربجيين فيقول بنفرهم الشوربجي الواحد من ارضة السادس والعشرين والثاني من ارضة الاثنين وثلاثين بمقدار ستماية او سبعماية نفر واخرج ينكجارية الشام حراس القلعة منها ووضع هولآ عوضهم فتقوّوا على اولئك وحل غضب الله عليهم لكثرة ما كانوا قد تجبروا وتمردوا على الرعايا ولا من يحكم عليهم وهكذا بلغ الله الوزير مناه منهم وكل ذلك صار من حسن حظنا لله الحمد والشكر

ولما وصلنا الى حمص خرج لاستقبالنا الردي مطرانها لانه كان قد جاء من صيدنايا بالخداع وتلبيس فما عاتبناه بشي الا اننا ضحكنا عليه واخذناه معنا وطيبنا خاطره لنستوفي غرضنا منه ولنجمع عليه مجمعاً . ولما خرجنا عن حمص بيومين درت انا الفقير اعاتبه واذكره بقبائحه واحدة فواحدة وهو يتململ وينكر الى ان دخلنا دمشق المحروسة سحر الجمعة اول شهر تموز واستقبلنا الجماعة فكل اكرام وتوقير وسرور وابتهاج وحبور

وشرعنا حينئذٍ في خدمة الباشا واجتمعنا بهِ وفي كل اعيان المدينة بالهدايا والشمع والسكر والقماشات وابتدينا في وفاء الديون ناصر فاولهم كان علينا لبيت الخواجا نامر الدين جملة مال بحجج شرعية نحو تسعة الاف غرش فوفيناها اياهم وكتبنا بيننا وبينهم ابراء ولاخر نحو الفين غرش وفيناه . ولاخر الفين وخمساية غرش .

ولغيره الف ولغيره خمساية وعلى هذا المنوال نحو خمسة عشر الف غرش منها قروش وجوخ ومسك وفراء وغير ذلك وتكلفنا على الباشا وعلى بقية خدم الاكابر اكثر من ثلاثة الاف غرش [١]

وكان بيت البطركية والقاعة قد تهدمت لان غالبها كان مبني باللبن والخشب القديم فخربناهم للارض وبنينا ليوان جديد منسوب الينا واقية للكلار والدهاليز وبيوت خلا يجري اليهم الماء ومخادع وبلاط وبلطنا القاعة المذكورة بانواع الالوان وارسلت اخذت من حلب بلاط اصفر لازوردي تكلف علينا بلاطها مع بجرتها نحو ستماية غرش وعملت مقابل الايوان المذكور واجهة ابلق [٢] من الاساس الى العلو وجعلت بها شادروان وسلسبيل بانواع الفسيفسة [٣] والرخام الملون يجري اليها الماء وينحدر تكسراً يشرح القلوب والخواطر ويذهب السويدا عن الدماغ ونصبت فيه عامودين من

(١) كانت قيمة العملة بالاجمال في تلك الايام اعلى واغلى مما هي في ايامنا وكانت مع ذلك اكثر اختلافاً وتقلباً حتى لا نستطيع ان نعرف بوجه قطعي قيمة الغرش في الشام لما عاد اليها فاذا كانت قيمة الغرش على حساب تعديل جودت باشا في اخر جزء من تاريخه المعرب بقيمة احد عشر غرش صاغ كانت قيمة هذه الخدمة والهدايا زائدة عن قيمة ثلاثة وثلاثين الف غرش بقطع النظر عن عزيز وجودها مع مقابلة ذلك الى قيمة كلف ما سيذكره لنا الشماس بولس بعد قليل من مصاريف البناء والايجارات

(٢) الاصفر اللازوردي والابلق والسماقي والناري الاسود والحجر الاسود من اشكال والوان حجر البناء في دمشق (٣) الشادروان الخيمة او العريش فوق الماء

الرخام مبرومين على صفة العواميد الرومانية القديمة لاني اخذت المعلم واريته عواميد على باب جامع يقال له الجنزاري خارج باب توما وقواعدهم مشجرة كالقواعد الرومانية وتكلف العامودان مع قواعدهم نحو ثلاثين غرش وهم الان يحيروا عقول الناظر اليهم كل ذلك نسبة لقول القائل المهندسون في هذا الزمان لا يقدرون ان يشتغلوا مثل شغل القديم ووضعت في صدر هذا المكان لوح سماقي طوله نحو ذراع ونصف وعرضه ثلث وحوله تشريفة[1] من الرخام والقاري الاسود ووضعت فوق هذه الواجهة الابلق تاريخ في ثلاثة اسطر اشعار من القيشاني الجديد البديع لكي لا يفنى ولا يغيره احـد من الراس للراس ووضعت فوق راس الدهليز المذكور عتبة صفرآء عليها تاريخ عمارتها بالرومي باحرف يونانيـة يقراها اولاد الروم

وكانت القاعة مظلمة فتحت لها شباكين عالين وعمرت فوق ظهر الايوان المذكور حيث الشباكين المذكورين قبة مخدع واسفلها مخباية قبو[2]. لان قبو الكلار تحتها وعمرت بيت خلا في قرنة المصيف

---

(١) التشريفة ما يحيط بالصورة ونحوها ليشرفها بزينة الهندسة او الصناعة ليظهر جمالها ويقال لها بلغة العامة برواز

(٢) المخباية قبو عند سري لم يكن يخلو منها قديماً دير ولا كنيسة ولا قلاية ولا دار كبيرة كان يوضع فيها اواني الكنائس الذهبية والفضية والايقونات والكتب ومستودعات الرعية الثمينة اذا خاف اصحابها نكبة من قوم معتدين

المذكور الذي يسمونه المشراقة بقبة عالية بطاقات وجامات [1] دائر ما يدورها مشابهًا لبيوت خلا الاكابر بدمشق لانهم يعملونها من الابلق وفتحت للقاعة شباك عظيم ووضعت فيه شباك حديد منقول بتفافيح زنته ستة وثلاثين رطل بعد ان كان مكانه خشب وفتحت بقربه باب سر للدهليز ابلق وجعلت الباب كالكتيبة [2] اذا كان مغلوق لا يعلم انه باب وكبرت باب القاعة وعليته وبنيته بالحجر الابلق ايضًا وجعلت كل هذه الابواب من شجر التوت الشامي ايضًا والابيض لكي لا يفنوا على طول الدهر شغل مضبوط وصار الدهليز الذي من وراء القاعة قبو جميعه وهو سر ووسعته وبلطته بالاسود وفيه قائم الماء مبني بالحجر الاسود المضبوط وبعد ان كان في بيت الجيران حزته لعندي وبقربهِ باب سر للكلار . وطلع من القاعة المذكورة اكثر من جبل تراب لاننا كنا نشيل التراب ونوضع موضعه حجر لان عمارة الشام بقصرمل وتراب احمر لان ترابهم محروق ما هو مثل عمارة حلب بتراب وكلس . وما كفانا على كب التراب ماية غرش

او من عوانية وهو غير قبو الكلار الذي هو بيت المونة في الاديرة يونانية الاصل «Κελλάρι»

(١) المصيف والمشراقة بمعنى واحد عندهم وهو المكان العالي من السطح يسهرون وينامون فيه في الصيف

(٢) الكتبية هي الخزانة الداخلة في البناء لتوضع فيها الكتب وغيرها كالمكتبة اذا كانت كلها من خشب وخارجة عن البنآء تنتقل عند الحاجة

وكانت بحرة الدار كبيرة جداً ودائر ما يدورها جنائن فصغَّرتها حتي فضي الصحن واتسع وعملت لشجر الليمون والنارنج حلاقيم كافمام الخوابي من الحجر ببرواز بشغل عجيب وبلطت دائر ما يدور مع بقية صحن الدار وجعلت دائر ما يدور حيطان الدار ترزات من البلاط الاسود [1] والابيض لجلوس الناس وبعد ان كانت ضيقة اتسعت جداً وصار حسن القاعة وصيتها وبحرتها وشادروانها وسلسيلها مسموع في مدينة دمشق وكثير من الاكابر بقوا يجوا للفرجة وتكلفنا على هذه العمارة نحو ثلاثة الاف غرش . [2] وما يشوقك يا اخي الا نرجسات الورود والزهور مصفوفين على درج السلسبيل المذكور نازل نازل والمآء يتكسر وقناني الخمر على حافات البركة دائر دائر والنوافير تلاقي بعضها بعض ونحن جالسون في الايوان الجديد مقابله نشرب بالهنا والكاس بيدنا فاسال الهي ان يؤهل كل قاري تاريخي هذا الحقير ولكل سامع لزيارة اورشليم المقدسة ولمشاهدة هذا المكان العجيب [3] لاني كنت اعلم جيداً

---

(١) الترزات المقاعد من الحجر التي تشاهد اليوم على ابواب المدن والخانات والاديرة القديمة

(٢) راجع ما كتبنا في صفحة ٨٥ سابقاً في تقدير او تعديل هذه القيمة التي صرفها الشماس على اصلاح دار البطركية في تلك الايام وقابلها معا قدمه من الهدايا والخدم بعد وفآء الديون

(٣) دار او قلاية البطريرك والمطران واديرة الرهبان اماكن مقدسة ومكرسة لله كالكنائس لانها معدة لسكن من تكرسوا لخدمة الله وهي تحسب في

ولو كان معنا خزانة مال نظيرها تذهب من يدنا وهذا البنا يبقى الى الابد تذكارًا للاجيال الآتية ولطلب الاجر والثواب من الملك الوهاب واذ كان المال الذي كان معنا من صدقات المسيحيين فانفاقه على هذه الامور الخيرية فيه ثواب عظيم

وكان للبطركية خان وقف عليها مقابل باب دهليز بيت البطرك وكان فوقه بيوت للفقرآء واطباق[1] صارت ماوى للزواني . وعجز كثيرون عن اخراجهم لكثرة نفاقهم وشرورهم وقبائحهم التي كانوا يعملونها فاخرجتهم وخربته جميعه وبنيته من الاساس وجعلته طبقتين فالطبقة السفلى تسعة دكاكين كرخانات[2] كبار متسعات . والطبقة الفوقا ثمانية احسن واشرح وبعد ان كان كراه في السنة خمسة

شرع الدولة وقفاً حبس نفعه لهم لا يباع ولا ينتقل اصلاً فما ينفق عليها انما يصرف لوجه الله تعالى ومن يكون له فيه فضل يكون له عند الله ثواب عظيم واجر كريم تزول الايام ولا يزول

وهذه الدار الجميلة الشائقة الوصف هي اليوم بطركخانة اخوتنا الروم غير الكاثوليك التي وضع يده عليها سلبسترس القبرصي بقوة الفرمان السلطاني وعلى كنيسة المريمية التي رُسم فيها البطريرك كيرلس طاناس وعلى باقي الكنائس في مدن الشام عدا ابرشية صور وصيدا وما ذكرنا قبلاً من كنائس ابرشية صيدنايا وتوابعها الا ان هذه الدار والكنيسة قد ذهبت طعمة النار في حوادث سنة ١٨٦٠ على ما هو مشهور

(١) اي طبقات وغرف عالية يسكن فيها الفقرآء

(٢) الكرخانات يراد بها على الخصوص مخازن الصناع المعدة للعمل كالحياكة

وعشرين غرش صار الآن يغلّ اكثر من ماية وعشرين قرش الا اني تعبت على بناه كثيرًا لعظم التراب الذي كان فيه والعياذ بالله من عمائر الشام متى ما خرقت طاقة خرب الحائط كله ما فوقه وما تحته وتكلفنا عليهِ نحو الفين غرش وما كفانا على كب التراب ماية غرش وعملت له باب صغير كباب قلاية مطرانية حلب وكتبت على احدى اعتاب دكاكينهِ تاريخ عمارتهِ

وكان في غيابنا قد نزل في دار البطركية القديمة اغا وجعلوها قناق[1] وذلك لانهم ادخلوه من باب الفرن فبتعب عظيم حتى قلعناه وسديت البابين بالحجارة وجعلت باب الدخلة لا غير وهو باب براني عملته احسن واعمق من باب قلاية مطرانية حلب بحجارة مثقلة كبار وباب مانع[2] وكذلك باب اخر مثله داخلهُ وصاروا كابواب القلعة والان لله الحمد لا يخافون احدًا ينكد عليهم لان يده لا تطاوعه لتكسير الباب لعمق كلينه لان الانسان يختفي فيه بجملته . وبقي المعلمون والاستاذون[3] وكانوا نحو ستين يشتغلون الا ان الخان قد اجتهدنا في تكميلهقبل الشتا بكثرة المعلمين والفعلة

---

(١) يراد بالقناق المكان الذين ينزل او يقيم فيه رجال الحكومة قديماً في ضيافة الباشا او الوزير او يقيم فيه احد رجاله فان الاغا المذكور مذ تعرف بهذه الدار اول مرة حينما دخل اليها من الباب الذي له سبيل على الفرن بسعاية بعض العوانية اقام فيه ولم يحب ان يتركه حتى هدمه الشماس وجدده .

(٢) اي باب من خشب قوي يمنع كل اعتدآء

(٣) والمراد بقوله الاستاذون المهندسون اي كبار المعلمين

وكانوا من ستين او سبعين نفرًا فكمل في مدة ثمانين يومًا وكان السادة المسلمون يتعجبون من ذلك لانه لو يكون عندهم ما كانوا يكملوه في مدة سنتين ولكن لاجل ان جميعهم (فعلة ومعلمين) مسيحيون كانوا يستحون منا ويجتهدون من كل قلوبهم في عمل الخير خصوصاً اني ابني لهم ولكنيستهم وبطركيتهم

وكان لبيت البطريرك عادة من زمان البطاركة السالفين ان يجيهم في كل جمعة حملين خمر من صيدنايا فانقطعت العادة في غيابنا فتعبت كثيرًا واجتهدت حتى اجريتها .

ولما حضرنا الى دمشق جاء مطران صيدا ومطران بيروت ومطران بعلبك ومطران طرابلس الى عندنا مسلمين على سيدنا البطريرك ثم شيعهم ليجمعوا له النورية كالعادة .

وخرج هو لزيارة صيدنايا في اول شهر ايلول افتتاح سنة ٧١٦٨ للعالم ١٦٥٩ واقمت انا الفقير مكانه في الشام . وبعد عيد الصليب بستة ايام مرق علينا ساعي من حلب ببشارة عظيمة يبشر بموت مطران حلب في يوم ١٣ ايلول بعد مرض قليل صب في امعاه ومات موتًا يبكى عليه ويُناح وفرح الجميع بماته وافتقد الله شعبه وخلصهم وكان مجي الساعي لعندنا العصر . وبالحال شيعت خيال اولاق الى صيدنايا يبشر سيدنا البطريرك بذلك فوصل الى عنده بعد العشا قبل ان ينام فازداد سرورًا لا شماتة بموته لخلاص الحلبيين من شره وقام للحال عمل باراكليسي شكرًا ومديحًا وارسلت ابشر

باقي روساء كهنة الابرشية بذلك وكانوا جميعهم مبغضين له ٠

ثم انه خطر في بال سيدنا البطرك ان يشرع في هذه السنة في طبخ ميرون مقدس وذلك لانه ما كان بقي من الميرون الذي طبخه المرحوم البطريرك يواكيم ابن زياده غير قزازة واحدة تقريباً فكتب حينئذٍ اسما الادوية والعقاقير في دفتر وشرعنا في مشتراهم وارسلنا نحضر من مصر دهن البلسام ٠

وفي اول صيام الميلاد اتيت انا الفقير الى حلب واقمت فيها الى عشرة اذار وكنت شرعت في بنا ديوان خانه كانت لازمة وقبوين للمكابيس والمونة وذلك لاجل ما جرا بغيابي من المخاوف والمهاول والرعبات والنهب والسلب من حضرة سيد احمد باشا كما ذكرنا سابقاً والان من خوف حسن باشا ومرتضي باشا وقد وقع لي عامود رخام عجيب قطعة فن مع ثلاثة قناطر حجارة ابلق اصفر قديم واسود بثمن يسير بنحو ثلاثين غرش وصار النصيب وانتهت العمارة المباركة وكانت موفقة لاني كنت انا في الشام اعمرها ذكرت وفي حلب كانوا يعمّرون في غيابي

ثم مضيت الى دمشق صحبة المقادسة واجتمعت بالوالد وسجدت لقدسه وتباركت منه وشرعنا حينئذٍ في تتميم عمل الميرون وجمعنا حوائجه جميعها الى جمعة الشعانين ودقيناها في الهاون باجمعها وهي خمس طبخات فكنا ندق اجزآء كل طبخة ونوضعها في طرحية ورق كبيرة وحدها ونكتب عليها اسمها

وهذه اجزآء الطبخة الاولى دار شيشمان وهو نوار اي زهر

القندول مائة وعشرون درهم وعـود سليخة حمرا ستون درهم حماما ياقوتية ستون درهم واصول السوسن ثلاثون درهم وقصب الذريرة ثلاثون درهم. ثم اننا رضينا منها ما وجب رضه كما يعين في الكتاب [١] وتنقع بماء مقدس وخمر عتيقة بمقدار ما يغمرها وازود

(١) الكتاب المذكور الذي يعين كمية الاجزاء التي يتركب منها الميرون وكيفية طبخه هو خاص باستعمال البطاركة فقط لم يطبع الا في اليونانية منذ بضع سنين في خمسين نسخة فقط في القسطنطينية وصلت نسخة منها ليد سيادة رئيس اساقفة اثينا اللاتيني والقاصد الرسولي فيها حالياً فنقلها الى الفرنساوية ونشرها في مجلة صدى الشرق Les Echos d'Orient في صفحة ١٢٩ وما يليها من المجلد الثالث سنة ١٩٠٠ وهذه النسخة تختلف عن النسخة التي كانت في البطركية الانطاكية واعتمد عليها الشماس بولس التي لم اقدر ان اقف على نسخة منها في جميع المكاتب التي زرتها او طالعت قوائم مخطوطاتها سوى نسخة واحدة كتبت في القرن السابع عشر او الثامن عشر مطابقة كل المطابقة لنسخة الشماس بولس وتختلف كثيراً عما ورد في الراس الخامس والثمانين من الافخولوجيون العربي المطبوع في القدس الشريف سنة ١٨٦٥ مما لا وجود له في الافخولوجيون اليوناني ولا في النسخ المخطوطة بالعربية التي طالعنا منها عشرات ولعل السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم وهو اول من سعى بطبع الكتاب المذكور اختار طبع بعض فصول الافخولوجيون الكبير الذي من ترجمة كرمه وزاد هذا الفصل نقلًا عن نسخة قديمة يونانية او عربية بسبب ما شعر من الحاجة الى معرفة ذلك عملياً ومعلوم ان هذه الاجزاء ليست كلها ضرورية او لازمة على السواء وانما جعلت هكذا مختلفة لتدل باختلاف طبع كل مادة منها على النعمة السرية الممنوحة بسر الميرون على اشكال مختلفة. ومن حيث ان طبخ الميرون وتكريسه خاص بالسادة البطاركة دون سواهم عند كل الطوائف

باصبعين او ثلاثة في وعاء نظيف الى عشية احد الشعانين لتطبخ في الغد ففي نسخة الاصل يمين جزءًا واحدًا اي مثلًا من زهر القندول اربعين درهم فنحن جعلناه ثلاث مثاله اي مائة وعشرون درهم ومثل ذلك من غيره وعلى هـذا فقس وسياتي ذكر بقية الطبخات بعد هذا

وفي يوم الجمعة قبل سبت العازر مضى سيدنا البطريرك بعد صلاة سحر مع روساء الكهنة والكهنة الى كنيسة مار نقولاوس وعمل صلاة حتى انتهى تقديس الاجيازموس[1] ورش به المكان والمترقبين

الشرقية كان الاحتفال به عظيماً شائقاً ونادرًا ولم يصف احد من الكتاب هذا الامر وصفاً كاملًا اجمل من وصف الشماس بولس الذي شاق كثيرين الوقوف عليه ونقل عن الترجمة الانكليزية الى الفرنساوية ونشر في مجلة صدى الشرق في المجلد الخامس في صفحة ٧٦ في سنة ١٩٠٢ والظاهر ان المترجم الانكليزي لم يسلم من الخطل والخطا في ترجمته وكذلك المترجم الفرنساوي اخطا الصواب في بعض المواضع من ترجمته على ما يظهر من تردُّده هناك لدى مقابلة هذه الترجمة على النص الذي ننشره هنا ولا بد ان يشوق كثيرين من قراء « المسرة »

بعد تحرير ما تقدم وجدنا نسخة ثانية قديمة مخطوطة في القرن السادس عشر وقد تضمنت صفة طبخة الميرون على ما وصفها الشماس بولس تماماً كانه اعتمد عليها فيما كتبه والنسخة المذكورة محفوظة في مكتبة دير الصابغ وقد اشتراها من احد رهبان دير المخلص القس يواكيم قاصوف وكانت تخص البطريرك مكاثيل الحموي

(١) الاجيازموس كلمة يونانية « ἁγιασμός » يراد بها تبريك الماء المبارك

الجدد اللذين كانوا قـد عملوهم من امس نحو المشرق في وسط الكنيسة المذكورة فوق البلاط ولاجل ذلك لبسوه بالطين لئلا يتأذى وجابوا ماعونين نحاس كبار بعد بياضهم وسحر الاثنين العظيم بعد صلاة سحر مضى سيدنا البطريرك ايضـاً مع روساء الكهنة والكهنة والشمامسة والشعب اليها وصنع ابتدا الصلاة وجبنا حوائج الطبخة الاولى التي كنا نقعناها من عشية بماء مقدس وخمر عتيق بلدي بوعاها وافرغوها في الماعون الكبير ووضع عليهـا ثمانية وعشرين رطلاً من الزيت الصافي بالدمشقي وايضاً خمر عتيق وماء مقدس وكان كلما وضع جزءاً من الاجزاء يترنم ويقول عـلى اسم الاب والابن والروح القدس الاهاً واحداً . ثم ورق غار وورق آس وورق حصلبان وكشة حصلبان دون فالخمر العتيق والماء المقدس وضعهم لكي لا يحترق الزيت في الوعا وورق الغار والحصلبان لاجل الرائحة وكنا قد دعونا اثنين من الحكما لتدبيره ايضاً لان هذا التدبير صنعتهم ويدركون هذا الطبخ والتدبير المقدس الالهي وقد نُسي من كثرة سنين كثيرة وكنا قد هيئنا حطب سنديان يابس مكسَّر

فاول ما تناول سيدنا البطرك ثلاث عيدان وثلاثة اعواد من القنب وثلاث شمعات مشعولة ووضعهم في المستوقد وبلَّ جانب من الحطب بمـآء مقدس سخن وكان موضوعاً في المستوقد الثاني

الذي تكرس وتبارك به البيوت والاماكن المعدة للعبادة وسواها

لاجل هذا الامر ثم وضعه فوق الشمعات الموقودة مع حصة من القنب بعدما رشّ المستوقد بالاجيازموس والهب النار في المستوقدين وجلس احد الكهنة على كرسي مقابل المستوقد يوقد وهو يبل الحطب بالماء السخن المذكور اول باول ويوقده قيلاً قليلاً بنار لينة حسبما يعين في الكتاب لانه يقول يجب ان يكون مستيقظاً ولا يوقد على الدوام الا ناراً لينة واذا حمي المستوقد يرش فيه من ذلك المآء السخن ويحذر ان يرش فيه مآء بارداً ولا يبطل التحريك . وهكذا كان يفعل اذ كان يحرك بمغرفة من الخشب بساعد طويل خوفاً عليه من الغليان لئلا يفور فيذهب جميعه ويحرق ما حوله وكان كل ساعة يضع فيه حصة من الماء المقدس السخن المذكور كحسبما يعين الكتاب ان كلما نقص المآء تزيده من المآء الفاتر قليلاً قليلاً واياك ان تزيده مآء بارداً

ومن حين الوقيد كان سيدنا البطرك بالبطرشيل والاموفوريون وكذلك روساء الكهنة يبطارشيلهم واموفورياتهم والكهنة ببطارشيلهم يقرون الاناجيل الطاهرة والشمامسة بزنانيرهم يترنمون الرسايل والنبوات والمزامير الداودية وغير ذلك من الترانيم والصلوات والجميع مكشوفون الروس من اول وقيد النار الى المسآء وكذلك الشمامسة بالمراوح يروحون على الماعون ويتبدلون وشمعة كبيرة تقد في شمعدان قدام المستوقد

والعلامة اذا اردت تعرف المآء ان كان فرغ منه المآء المخلوط

في الزيت الذي في الماعون المذكور وهو على النار يغلي فانظر ما دام الزيت يبقبق فقد بقي شيء من المآء فاذا هـدت البقبقة بالكلية وذهبت وهدي الزيت حينئذٍ تزيد عليه ما اردت من المآء السخن فاذا حركته تقوم الافـاوه والعطر في الزيت حسنًا فاذا علمت ان قوة الافاوه والعطر قـد خرجت في الزيت وطابت رائحتهُ انزله عن النار واتركهُ ليلة الى الغد حتى يبرد وهكذا فعلنا وحطينا على فم الماعون منشفة كبيرة وربطناها لئلا يسقط فيه شيء وفي الغد صفينا الزيت عنه بمنديل نظيف وعزلناه في جانب كما يمين في نسخة الاصل وتنحى الافاوه مثل النخالة وتعزل في وعاء آخر وحدها وفي هذا اليوم جمعنا اجزآء الطبخة الثانية

بيان اجزآء الطبخة الثانية من الميرون المقدس وهي قسط مر جيد ستون درهم وورد احمر عراقي او جوري منزوع الاقماع ستون درهم وصندل مقاصيري ستون درهم ولادن وبخور جاوري وزنجبيل وقرفة القرنفل وعيـدانه من كل واحد ستون درهم وقسط يابس ثلاثون درهم يرضّ الجميع ويبالغ في رض الصندل ويصب عليها من الماء المقدس ما يغمرهـا ونقعناه من ظهر يوم الاثنين العظيم الى سحر الثلاثا ثم اننا جبناه ووضعناه على الزيت الذي طبخ بالامس واوقد البطرك النار كما ذكرنا اولاً والتحريك عمال وكان يزداد اذا احتاج قليلاً من المـاء المقدس وطُبخ اربع ساعات زمانية ثم نزلنـاه وتركناه الي العصر حتي برد وصفيناه

ثانيًا وعزلنا الافاوه على الاولى هذا وروسآء الكهنة والكهنة يصلون ويترنمون والشمامسة بالمراوح يتبادلون الى النهــاية وكنا قد نقعنا حوائج الطبخة الثالثة من سحر هذا اليوم واتينا بها ووضعناها فوق الزيت المصّفى واوقد البطرك النار ثانيًا

بيان اجزآء الطبخة الثالثة من الميرون المقدس وهي زرنب ستون درهماً وقشور السليخة الحمرا المختارة احد وعشرون درهم وجوز طيب خمسة عشر درهم وسنبل الطيب العصافيري الجيــد ثلاثون درهم . وقرنفل جيد عشرون درهم وبسباسة ثلاثون درهم وطبخناها من عصر الثلاثا الى العشا فنزلناه عن المستوقد الى ان برد وصفيناه سحر الاربعا كالعادة وعزلنا الافاوه ناحية على بعضها بعض وكنا قد دقينا اجزاء الطبخة الرابعة من يوم الثلاثاء

بيان صفة الطبخة الرابعة من الميرون المقدس وهي هــذه دارصيني طيب عال او قرنفل ثلاثون درهم ومرّ احمر جيد عربي ستون درهم وعود هندي خالص وهو بخور العود ثلاثون درهم وزعفران شعري عراقي جيد ثلاثون درهم ثم رضّينا منها ما وجب رضّه وصببنا عليها من المآء ما غمرها وزيادة ونقعناها ليلة الاربعا في ماء مقدس ايضًا الى سحر الاربعــا ووضعناهــا فوق الزيت المطبوخ ثلاث مرات وطبخناها بنار لينة كالعادة من سحر الى الظهر والطقس الاول عمال من القراة والمراوح وغير ذلك ونزلناه عن النار الى ان برد وصفيناه وعزلنا الافاوه على بعضها بعض ثم جمعنا

اجزاء الطبخة الخامسة

بيان صفة الطبخة الخامسة من الميرون المقدس وهي هذه من الاصطراك الجيد الاحمر الفلكي ماية وعشرون درهم ووضعناه في الزيت المطبوخ مع ثلاثة ارطال عسل منزوع الرغوة وماء مقدس ايضاً ووضعناه في الزيت على النار بعد ظهر يوم الاربعا الى المسا حتى ذهبت منه رطوبة الماء جميعها وهديت عنه البقبقة بالكلية وطابت رائحته وعلامة تجربة ذلك هو ان الحكيم الذي كان يدبر هذا العمل جاب فتيلة قطن وغطها في الزيت المطبوخ وقدمها للشمعة فلم تطشطش فعلمنا حينئذٍ ان الرطوبة قد ذهبت منه ثم نزلناه عن النار وفي اثناء ذلك كنا قد دقينا اجزاء الطبخة السادسة .

بيان صفة الطبخة السادسة من الميرون المقدس وهي هذه دارصيني اي القرفة ماية وثمانون درهماً ومن سنبل الطيب الجيد العصافيري ستون درهم ومن قشور السليخة الحمرا الجيدة ثلاثون درهم ومن البسباسة اربعة وعشرون درهم ومن العود الهندي القافلي خمسون درهم وسحقنا الجميع ونخلناهم في كريشة حرير ووضعهم البطريرك في الزيت المطبوخ ودافهم بهِ ثم اضاف الحكيم دهن البلسان وكان نحو من ماية وخمسون درهم في وعاء من نحاس على نار حتى ذاب واضاف معه اربعة عشر مثقال من المسك الخالص المسحوق ومن العنبر الجيد ايضاً الى ان اختلط في بعضه بعض وحصة من الميرون القديم ووضعه البطريرك على الزيت المطبوخ

ايضًا وحرك الجميع وغطيناه الى الغد وفي هـذه الليلة ظهر سرّ برهان عظيم من بعض الايقونات التي على باب هيكل هذه الكنيسة وذلك انهم من اول الليل نضحوا حيل كان يزرب منهم كساقية واندهلنا وضحوة نهار الخميس حضر البطريرك وبدا يعبي الميرون في اواعي الزجاج الجدد ولم يكن وُضع فيهم شي والجميع مكشوفو الروس مترنمين بالطروباريات الرب برعاني فلا يعوزني شيء وغير ذالك وعزلناهم على حدة

ثم مضى روساء الكهنة والكهنة والشمامسة ابدلوا مع سيدنا البطريرك وجاوا اخذوا المذكورة افرادًا وازواجًا بباعوت والشموع بتمامها تتقدمهم وسبع ازواج مراوح تروح بها الشمامسة من وراهم والجميع يرتلون ارحمني ياالله بتمامها الى ان دخلوا الى الكنيسة المريمية الداخلة ووضعوهم على المايدة المقدسة وابتدوا في القداس وحين دورة الجسد حمله الكهنة ايضًا قدام الجسد وداروا بهِ كما يمين ذلك الكتاب والشمامسة بالمراوح الى ان دخلوا بهِ ووضعوه على المايدة المقدسة فاحنى حينئذٍ البطرك راسه وقال عليه الافاشين المعلومة المعينة الى النهاية وبعد القداس حطينا الاوعية تحت المايدة المقدسة الى سحر الفصح المجيد بعد القداس اخذناهم ووضعناهم في خزانة الميرون في الكنيسة المريمية وشعلنا قدامه قنديلًا يقد دايمًا الليل مع النهار والسلام

هـذا ما انتهينا اليه من وصفة طبخة الميرون المقدس واف

عملت انبان جديد وجددت مايدة هيكل كنيسة دمشق الشام ونظم بعض كهنة دمشق وهو الخوري حنا ابن الذيب في كل هذه الاحوال قصيدة يمدح الاب السيد البطريرك كير ماكاريوس قائلا شعرًا

اذا اردت يااخي تحيط عامًا   بخبرٍ لطيف يزيدك نعمًا

اعني مبتدا تاريخ بطركية ذو الكلام الذهبي الاب السيد البطريرك كير ماكاريوس الانطاكي الحلبي . لما حانت وفاة المرحوم البطريرك الذي كان قبله . افتيميوس الرومي الصاقزلي اصله . ارسل استدعاه الى دمشق وجعله خليفة له . على الكرسي الرسولي العالي محله . برضى روسآء كهنة الابرشية والكهنة المحتفين . وجماعة الاكليروس وكافة الشعب الارثوذكسي . وكان ذلك في الحادي عشر شهر تشرين الاول . سنة سبعة الاف وماية وستة وخمسين . لادم الاول . واقام بدمشق نحو تسعة اشهر وخرج يشرف على ابرشيتهِ . ثم عاد اليها من حلب بعد سنتين من بطركيتهِ . واقام فيها ايضًا نحو من ثلاث سنين . وبعدها توجه الى حلب طالب المضي لبلاد المسيحيين . صحبة نجله الارشيدياكون كير بولس السعيد . مع من صحبهم من كهنة وشمامسة وتلاميذ . وذلك لتراكم الديون . وكثرة الغبون . التي حفَّت بكرسيه من اعمال الفنون . فكانت مدة غيبته سبعة سنين كاملة . مقاسيًا بها البأساء والشدايد الشاملة . فاعاد الله علينا سلامته بعد انقطاع الامل والمعين

سحر الجمعة اول شهر تموز سنة سبعة الاف ومائة وسبعة وستين ٠ وذلك اليوم كان مملوًّا فرح عظيم ٠ انتقلت بدل الاحزان والهموم الى فرح مقيم ٠ ولما طرق سماعنا صوت تعليمه البديع ٠ انتعشت ارواحنا بعد موتها الفظيع ٠ وصار له تعب عظيم لاجل وفاء الديون ٠ وافتك من الة القدس جميع ما كان مرهون ٠ وفي ليلة مبدا شهر تشرين الثاني في التاريخ المثبوت ٠ ارسل الارشيدياكون ولـده وكاتبه الى مدينة بيروت ٠ واحضر بامر والدهِ حجرًا لطيفًا من السن الابيض الساطع ٠ جدَّد به المايدة المقدسة في هيكل والدة الاله اللامع ٠ ثم ابتدا بجمع افاويه وادوية وعقاقير ٠ ليطبخ الميرون المقدس ذي الاكرام والتوقير ٠ وعمل عملًا صالحًا الاهيًا يذكر به الى الابد ٠ ونعمة لكل من يدهن به ويميرن بعد ما يعتمد ٠ فبحث عما بقي من الميرون الذي طبخه البطريرك ابن زيادة ٠ فما وجد الا قرابة قزازة مملوة بزيادة ٠ وابتدا في طبخه يوم الاثنين العظيم اول جمعة الالام ٠ الى يوم الاربعا الكبيرة في المساء كان التمام ٠ بحضور جم غفير من روساء الكهنة والكهنة ممن كانَ ٠ والشمامسة وبقية الخدام والرهبان ٠ وكان متوشح في حال طبخه بالاموفوري والبطراشيل ٠ يتلو الانجيل مع تسبيح وطلبات وتهليل ٠ وكذلك روساء الكهنة به متشبهين يقرأون مع الكهنة الاناجيل والرسائل والمزامير بتلاحين ٠ والبعض من الكهنة جالس يقدم الوقيد ٠ والاخر للتحريك وهم لا يفترون من التمجيد ٠ والشمامسة بالمرواح

يروحون ويهللون . والكافة من داخل وخارج يتعجبون . وصار حينئذٍ هيكل مار نقولاوس كفردوس شهي . مجملاً مكملاً في هذا السر العظيم البهي . ويا للعجايب التي صارت بهِ ليلة الخميس الكبير . لما برز الحيل الالهي من الايقونات غزير . وعاين ذلك كل المحفل والجم الغفير . وسبحوا الله والثالوث الاقدس القدير والشعب المسيحي مع النسا والاطفال عن بعدٍ واقفين . يسبحون الله وللسيد البطرك داعين . والبعض اخذ من الرماد . لاجل البركة وحفظ الاولاد . والبعض اخذ من تفل الافاويه لشفاء الامراض . واخرون اخذوا من الذي صفي منه والفضلات لتقديس المنازل والشفا من العاهات . ويوم الخميس الكبير الذي هو سادس عشر نيسان . سنة سبعة الاف وماية وثمانية وستين للاكوان . عمل السيد البطريرك باعوت عظيم وحمل روساء الكهنة والكهنة الاوعية بوقار عظيم . والشمامسة حاملين المراوح والمصابيح يزفون ويزيحون بالتراتيل والتسابيح ونقلوه من كنيسة مار نقولاوس الى الكنيسة الداخلة . ووضعوه على المايـدة المقدم ذكرها الفاضلـة . وفي الايصودن الكبير داروا به وزيحوه ثانياً في جميع الكنيسة العظمى واعادوه للمايدة السامية . وبعد ما تلا عليه السيد البطريرك الافاشين المرتبة . وضعناه تحت المايدة . ويوم السبت العظيم تجدَّد الانبلون المذهب . في الكنيسة الداخلة العظمى عجيب مرهب . وقرا عليه الارشيدياكون انجيل الفصح

اولاً . لان الهجمة والقداس في الكنيسة الداخلة تكمّلا . وبعد
دلك حملت اوعية الميرون الى خزانتها . ووضعت في مكانها القديم
المهيا لها لصيانتها . وهي خلف باب هيكل القديسين كبريانوس
ويوستينه . وجدد لها الارشيدياكون طبقة ثانية معينة . ووضع هناك
جميعه مع القرابة القديمة وكتب عليه تاريخًا محررًا بالفاظ مستقيمة
وصير للخزانة المذكورة بابًا من حديد . ووضع عليه قفلًا للحفظ
والتشديد . وصلح ذلك وتم في هذا التاريخ الصحيح . سنة الف
وستماية وستين لتجسد سيدنا المسيح . فيالها ثلاث اشيا تجددت
لنا مايدة مقدسة وميرون الهي وانبلون فنشكر ربنا ومخلصنا
يسوع المسيح . ونساله بشفاعة والدته ذات كل تسبيح . ان يديم
لنا حياة سيدنا البطريرك معافى . باستقامة خالية من كل ضنك .
ويحفظ الارشيدياكون نجاله السامي قدره . ويمنحه كافة اماله الصالحة
ويزيد بره . ويبقى له سليله الشماس حنانيا الحبيب . وينشيه مع
اخيه قسطنطين نشوًا صالحًا عجيب . فمن سمع بهذا الترتيب
يدعى لناظمه المتيب باسم خوري يوحنا ابن رزق الله الشهير بابن
الديب والسلام

اما ما جرى بعد عودة السيد البطريرك بالسلامة من البلاد
المذكورة على ما فعل مطران حمص ابن عميش من الاسواء فقد
جمعنا عليه مجمعًا كان حاضرًا فيه ملاتيوس مطران طرابلس وفيلبوس
مطران بيروت وارميا مطران صيدا . وناوفيطوس مطران اللادقية

وجراسيموس مطران الزبداني وغريغوريوس مطران حوران وكل كهنة دمشق والاكليروس والاعيان وكلهم كانوا يحاكموه ويثبتوا في وجههِ بانهُ وقف اولاً في الكاتدرا وثانياً كان يبدل في النرتكس مع طون ذسبوتين وثالثاً انهُ شرطن كهنة وشمامسة . رابعاً انهُ رهّب راهبة كانت علمانية وسماها سماونية لانهُ لم يجد لها اشبينة راهبة فجعل اشبينة راهب اسمهُ سماون وهي مايتة بعد خروج روحها لاجل متخافاتها وخامساً كان دايماً يقول ويتفوه ان البطرك ما بقي يجي وانا بطرككم سادساً انهُ زوج زيجات حرام عصبيات على اربعة وجوه في المدينة والبر لاجل قبض الدراهم واوردوا امثال ذلك من القبائح والشرور التي لا تحصى فحكموا عليه بالقطع من كهنوته والحرم الى ان يتوب وكتبوا صورة ذلك في اصطاتيكون وارسلناه الى سائر الابرشية ففرحوا بذلك لانه كان موسيئا لجميعهم بلسانه وهذه صورته

المجد لله دائماً

مكاريوس برحمة الله البطريك الانطاكي وسائر المشرق

انه لما كان بتاريخ نهار الاحد ثامن وعشرين شهر اب سنة ٧١٦٧ لكون العالم سنة (١٦٥٩ م) الموافق اول شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٠٦٩ للهجرة الاسلامية صار مجمع مقدس بحضور الحقير الواضع خطي وعلامتي اعلاه وادناه وبحضور روساء كهنة ابرشية النورية الانطاكية الواضعين خطوطهم ادناه بمدينة دمشق الشام في كنيسة القديس نقولاوس وكان اجماعهم ودعواهم على اثناسيوس مطران

حمص بانه جا الى دمشق وتوطا كرسي البطريركية بغير امر البطريرك وبغير شورهم ورضاهم وانه قدس في كنيسة البطريركية ولبس بدلته خارجاً في الترتكس وانه شرطن قسوس وشمامسة بغير اذن صاحب الكرسي وانه وقف في الكاتدرا التي لا يصعد عليها غير البطرك وانه حمل على اخوته روساء الكهنة بالافتراء وانه زوج زيجات حرام في المدينة والبر وحلل ذلك بقبض الدراهم وبعد اثبات ذلك في وجههِ واحدة فواحدة بحضور المجمع المقدس وكهنة البلد ووجوه الاكليروس واعيان الشعب وايضاً انهُ مضى الى دير صيدنايا وطلع الى الكرسي وقدس بغير اجازة بعد ان ارسلوا له الكهنة والاكليروس واعيان الشعب وانهوه عن ذلك فلم ينتهي وقد ظهرت عليه قبل ذلك قبائح كثيرة مدونة في دفاتر عليه وثبتت عليه في وجههِ. فبموجب ذلك قد حكمت عليه انا الحقير مكاريوس البطريرك الانطاكي حالاً بموجب ما تامر الشريعة المسيحية بامر الرحمان والسلطان ان هذا الرجل المدعو اثناسيوس المذكور فيكون مقطوعاً من سائر درجات الكهنوت وليس لهُ تصرف في قداس ولا في غيره ولا ان يضع بطراشيل في عنقهِ وان تعدي ما حددناه فيكون محروماً مفروزاً من مجد الاب والابن والروح القدس ومن المجامع المقدسة الى ان يرجع ويتوب ويخاص نفسه وذمته مما اختلسه لنفسه من البطريركية والكنيسة والوقف والقوانين من الاحيا والاموات وعلى هذا الاصطاتيكون قد فصلناه من مجمعنا المقدس

المحرر في اليوم الاحد ثامن وعشرين شهر اب المبارك لشهور سنة ٧١٦٧ للعالم الموافق للهجرة الاسلامية سنة ١٠٦٩ وبالله التوفيق

المجد لله دائمًا

ارميا مطران صيدا — غريغوريوس مطران حوران — فيلبوس مطران بيروت — ملاتيوس مطران طرابلس

م — م — م

نقولاوس مطران عكار — ناوفيطرس مطران اللادقية — جراسموس مطران الزبداني

الارشيدياكون الشماس بولس

ومن بعد هذا انهزم (اي مطران حمص) من دمشق ليــلًا ومضي الى حلب وبقي فيها نحو شهرين وهو مصر على نفاقه الى ان عاجله الله بالهلاك في ١١ تشرين الثاني مقطوعًا محرومًا واما سيدنا البطرك فانه اقام في دمشق سنة كاملة واربعة ايام وفي ليلة ٥ تموز توجه الى صيدنايا ومنها الى الراس والى بيروت وطرابلس وحماه وطاف سائر رعيته ووصل الى حلب ٧ ايار لانه عمل الفصح في حماه وشرطن لهم فيها مطرانًا الخوري ناوفيطوس الساقزي الذي كان احد شمامسة البطريرك افتيموس ومن بلده وذلك يوم الاثنين الباعوت سنة ٧١٦٩ (١٦٦١ م) بحضور انطونيوس مطران بعلبك وجراسيموس مطران الزبداني

وكان قدومه الى حلب خير وفرح لانه كان في حلب باشا يقال لهُ الخاصكي وكان ظالمًا غاشمًا بدع في اهل حلب بالظلم

وكان صار في هذه السنة غلا عظيم عام في اكثر البلاد الى بلاد الرملة والفلاخ والبغضان كما اخبروا وخصوصاً في بلاد العربية فانه بلغ ثمن مكوك الحنطة في حلب ماية غرش ولا توجد ومثل ذلك في الشام الا ان الله رحم الشام في باشاتها الذي كان بها يومئذٍ وهو احمد باشا ابن الوزير الكبورلي لانه ارسل جاب من مصر قمح ورز كثير وغير ذلك من الحبوب وهذا ما صار قط ان يخرج من مصر قمح لكن لاجل انه وزير وابن الوزير اعطوه فكان اذا كانت تباع الغرارة من القمح البلدي بثمانين يبيعها هو باربعين واقل ولولا ذلك لكانت الناس اكلت بعضها حتى انه وصل ثمن رطل الخبز المعمول من نشارة العظام والزبل الى ثلث الغرش ونصف الغرش ايضاً فمثل هذا الاحسان عمل وزير الشام بالعكس عمل باشا الخاصكي في حلب وكان سيدنا البطرك من خوفه من ظلمهِ يضيع ايامهُ في حماه وبلادها فلما وصل الى سرمين عاجل الله الخاصكي بالانتقام لان السلطان الله ينصره والوزير لما بلغهم ظلمه غضبوا عليه وارسلوا اخذوه وقتلوه وفرج الله حلب واهلها فدخل اليها سيدنا البطرك مطمئن البال وفرحوا بقدومهِ وفي ليلة دخوله شنقوا رجلًا يقال له يوسف باوي وكان باشا العوانية عنده وفي شنقهِ صار سرور في كل المدينة

واما الفقير فاني قمت وكيلًا مكان الوالد في دمشق وخدمت ابن الوزير كالعادة واصحبت مع سائر اغاواته وكاخيته ولما جاء

زمان الخراج اشتكى اليهود على الدفتردار الذي كان في دمشق وهو كان يجمع الخراج لزاد الحاج لكونهِ اخذ منهم العام الماضي زيادة عن امر السلطان غرش فغضب عليه ابن الوزير وطلب محاسبته وتقرر الامر على تحرير النصارى واليهود وكان سيدنا البطرك قد اسقط من خراج غزة نحو ماية واحد واربعين اسم في زمان بشير باشا لانه كان يحبه جدًا ولان باشا الشام مفوض لاسقاط الخراج والعوارض وما يفعله جائز وكان نصارى غزة اكثرهم قد اسلموا وكانوا يحملونهم خراج المستسلمين فلاجل ذلك فنيوا وقلوا فجاؤوا ووقعوا على سيدنا البطرك فتحنن عليهم واسقط عنهم ما ذكرناه وبقي عليهم اربعين اسماً لا غير . فلما سمع ذلك نصارى الشام تحركوا وقالوا لهُ تسقط عن ناس ما هم من رعيتك فكيف نحن وكذلك جعل همة وسعي واسقط عنهم ماية وعشرين اسماً ومن اهل قارا خمسة عشر اسماً ومن اهل معرونة خمسة عشر وتكلفوا على ذلك اربعة خمسة الاف غرش . فلاجل غيبة سيدنا البطرك في هذه السنين ما كان احد من اهل الخير يسد غايلة هذا الامر . فلما جاء الدفتردار المذكور الى الشام وبلغوه ذلك كان يتعلل عليهم كل سنة وياخذ منهم بعد تمام خراجهم الف غرش واكثر الى الان . فخرج حينئذٍ مطرجي ابن الوزير وتعين للتحرير ومعه كاتب وكان صاحباً معنا فارضينا خاطره وكان يكتب على خاطرنا . وكانت رحمة من الله ولو كان يحرر القسوس والشمامسة والاولاد والسقط كما هو معين

في البويلردي الذي كان معه كان صار شي لا خير فيه

وكان خراج انفس نصارى الشام اربعماية وثمانين اسماً وخراج البعلبكيين عشرين . وخراج اهـل كفربهم مثلهم . ولزم الامر الى ان خرجت درت قدامـه مع كم اختيار حارة حارة وبيت بيت وكنا بالسر نوصي بتقليع المعتّرين والسقط من الوجه وكان الاغا يقف في اول المحلة ويوصي وينبه ويقرّط على الجباة والمعرفين وكبار الحارة بان لا يخفوا احدًا فمن قوّى قلبه وما كُتب بعلمنا مضى ومن خاف تعتر وكان مع اليازجي دفتر بياض مكتوب في كل راس وجه اسما طوائف الشام وحدهم[1] وطوائف اهل البر كذا وحدهم . فكان يكتب كل واحد تحت قلمهِ واذا كان اعزب ما هو مزوج ولا له مالك يعدّي عنه ومن كان اعزب وغائب وله ملك كان يكتبه وعلى هذا المنوال قوينا قلبنا بقوة الله وما طيلعنا دفتر الشوام غير اربعماية وسبعين لا غير وخلصوا من جريمة الدفتردار كل سنة والبعلبكيين كثيرين ضيعنا منهم كثيرين وما كتبناهم برضى الاغا غير ثلاثة واربعين اسم لا غير وهم اكثر من ماية وخمسين ولكن فقرا جدًا . واهل كفربهم كانوا نحو مايتين في المدينة والبر ما نزلناهم غير ستين ومثل ذلك بقية

(١) المراد بطوائف الشام في كلام الشماس بولس اسماء اصحاب البيوت والاسر والعيلات الشامية الاصلية والمراد بطوائف اهل البر اسماء اصحاب البيوت الذين يقيمون في دمشق من اهل بعلبك وكفربهم وقارا ومنهم كهنة يخدمونهم في دمشق

الاقلام . واما الاولاد البالغين فاي من كان وجدوه منهم كنا نتوسل اليه ونرضيه عنه بقرش او باثنين ونأخذ ورقة منه بختمهِ علامة لكي لا يمسكه مرة ثانية لانه بعد تميم الدفتر طلع يفتش مع غلمانه فاي من وجده كان يمسكه ويجرم اهله واهل محلته لسبب انهم ما كتبوه . وكنا على حسب قوتنا نرضي خاطره الى اتمام الامر وجمع الخراج الا اني تكلفت كثيرًا كل ذلك لطلب الاجر والثواب ولولا ارادة الله واكون حاضرًا في هذه السنة في هذا الامر لكان زاد الثيل كثيرًا ولكن لكثرة محبة الباشا لنا وحياء من كثرة هدايانا وعطايانا وموائدنا لم يقبل بنا كلام الاعدا والاراتقة الذين كانوا يوشون بنا لغيرتهم منا وعلى هذا المنوال نقض التحرير وكان الدفتردار راضيًا منا وكاخية الباشا وكل اغاواته وكانوا يوصوا المطرجي بنا الى ان جاءت عزلة الباشا وارسل ابوه وراه ليعمله وزيرًا مكانه فمضى بالاولاق ماية وخمسين راس خيل وكان على حرب اولاد معن واولاد شهاب . وقد قطع عليهم خمساية كيس خدمة لحضرة السلطان ليعفو عنهم وابقى في البقاع ليقبض المال قبلان باشا باشة طرابلس بعساكره وعساكر الشام ووصل الى حماة بيومين وكان يمشي ليلًا ونهارًا الى ان وصل الى ادنه وعاين اباه ولما مات صار مكانه وزيرًا

وفي زمان وكالتي في هذه السنة مع كير نقولاوس مطران عكار مات خمسة من كهنة دمشق وكانوا في ابتدا بطركية سيدنا البطريرك نحو

ثلاثين كاهن وكنت اعمل في حين نياحهم وبعد دفنهم عادة تلك البلاد اجيب للحاضرين خمر وبقسماط عن روح الميت وحطيت على مقبرة الكهنة حجر كبير مجلى كتبت عليه تاريخ بالرومي ووضعت على مقبرة الرهبان حجر اسود كبير ليعرف المكان وثبت عادة دفتر اسماء الاموات لان في الهيكل دفتر يكتبوا فيه اسماء الاموات يوم بيوم ليذكروهم فيه على كل قداس وليعلم اهل الميت يوم الاربعين ويوم نصف السنة والسنة ليعملوا له نياحة وقداس وبعد تمام السنة نمحي اسمهُ

وكان الكهنة يتخطون على بعضهم في خدمة جمتهم ويدفنون الاموات ويعمدون ويقندلون بغير اذن صاحب الجمعة وبغير اذن الوكيل فمنعتهم عن ذلك وصار في ذلك نفع كلي وترتيب وعدم مشاجرات ومنعت الكهنة الغربا عن قضآء مصالح اهل المدينة . ولكن يقضون مصالح جماعتهم الذين في القرى وحارات الميدان وكان المسيحيون في الاعياد يهجمون على تناول الاسرار بغير اعتراف فارسلت جبت من سيدنا البطرك اصطاتيكون والزمت معلمي الاعتراف بعمل ختومه باسمائهم ويختموا اوراق ويفرقوها على تلاميذهم الذين يعترفون عندهم نسا ورجال وما كان الكهنة والشمامسة يناولوا احدًا الاسرار بغير ورقة ختم ولاجل ذلك انضبطوا

وكان في الشام جباة الخراج عتق كفرة اشرار وما يقدر احد على عزلهم لانهم كانوا يدخلوا يبرطلوا الخراجي كل سنة ويبقوا جباة بجمايته ويتحكموا بالفقرآء والمساكين لان عيشتهم من

السلطنة على كيس المسيحيين فعملت جهدي وقلعتهم ووضعت غيرهم اربعة اختيارية دينين خائفين من الله . وعـادة شيخ حارات النصارى ان يكون نصراني برضى البطرك والنصارى . وكان في غيابنا صار عليهم شيخ ملعون يضر بيده ولسانه ويبلبل احوال النصارى وخرب نظامهم بادمانه على الخمر وهربه حين طلبه وما قدر احد على قلعه فقلعناه وعزلناه ونصبت اخر غيره اراح الجميع في مدة وكالتي

وعلى حارة النصارى عادة كلما جآء باشا كم قناق ففي مجي ابن الوزير تعبت كثيراً وانفقت جملـة دراهم وقماشات حتى نقصتهم واشتريت كم دار وعمرتهم ورتبتهم وجعلتهم برسم قناقات خاصة وصار لهم بذلك راحة وتوفير خراب بيوت المسيحيين وبلصهم من الشوباصي واتباعه . وفتحت كفي بالسخاء والاكل والشرب حسبما يليق في وكيل البطرك حتى كان كلامي ينفذ عند كل احد ...

وخرجت من دمشق الى حلب الخميس ١٤ تموز بعـد ابن الوزير باربعة ايام صحبة كاخيته صالح اغا

الى هنا انتهى ما جآء في نسخة باريس المخطوطة والمراد بقوله كم قناق ان على النصارى قبول ضيافة بعض الجند القادمين مع الوزير

ملحق

بسفرة البطريرك مكاريوس الحلبي

قصدنا باذاعة هذه النخبة نشر اهم ما وصل اليهِ بحث الشماس بولس مع والدهِ عن تاريخ البطركية الانطاكية لطول باعهما ولشدة ولعهما به . وقد علقنا عليها الحواشي المفيدة حيث رأينا كلام المؤلف رحمه الله يحتاج الى الايضاح او التحقيق على قدر ما ساعدنا البحث والتوفيق وابقينا كلام المؤلف على اصله حرصاً على قيمته التاريخية وان كان لا يخلو بعضه من لغة العامة . الا انهُ بقي علينا اتماماً للفائدة المرغوبة ان نكمل سيرة البطريرك المذكور في هذا الملحق بياناً لفضله وخدمةً للتاريخ التي نتوخاها ولذلك يحسن بنا ان ننقل هنا ما كتبهُ عنه خليفتهُ البطريرك اثناسيوس الدباس في مختصر تاريخ بطاركة انطاكية عن النسخة التي كتبها بخط يده باليونانية الدارجة سنة ١٧٠٠ وهي اليوم محفوظة في مكتبة مدينة فينّا (Vienne) عاصمة مملكة النمسا[1] قال :

(١) كتب اثناسيوس هذا التاريخ باليونانية الحديثة الدارجة وجعله

« ثم صار بطريركاً بعد افتيميوس الصاقزي مكاريوس الذي كان قبلًا مطراناً على حلب باسم ملاتيوس وبعد مدةٍ عزم هذا ان يسافر الى البلاط الارثوذكسي ومن ثم بارح دمشق الى القسطنطينية ومنها سافر الى بلاد الفلاخ في ايام الامير متى الذي قبله بكل اكرام وتقوى وبعد ان اجزل لهُ العطاء سافر الى مولدافيا ومن هناك ذهب الى بلاد المسكوب في عهد الملك الكسيوس الحسن العبادة وقضى هناك نحو سنتين وقد انعم عليهِ الملك المذكور بمال جزيل فعاد الى بلاد الفلاخ بطريق مولدافيا ومن هناك رجع بطريق البحر الاسود الى الشام سالماً سنة ٧١٦٧ لآدم (١٦٥٩ م)

تقدمة للامير يوحنا قسطنطين برانكونان فيفود (حاكم) الفلاخ الذي طبع له على نفقته الكتب الطقسية باليونانية والعربية سنة ١٧٠١ حتى تتوزع مجاناً على كهنة البطركية الانطاكية وقد انتقلت هذه النسخة الى مكتبة فينا بواسطة الامير الشهير الجانيوس Eugène de Savoie مع الغنائم الحربية الغنية التي اخذها من الاتراك بحروبه القاهرة لهم . وقد استحصلنا على نسخة منها بالتصوير الشمسي اخذها احد اصحابنا وقدمها هدية لغبطة البطريرك غريغوريوس حداد الذي قدمها هدية لقيصر روسيا معها قدمه له من الهدايا بمناسبة سفره الى روسيا للاشتراك في الاعياد العظيمة التي صارت هناك سنة ١٩١٣ تذكاراً لاسرة رومانوف المالكة يومئذٍ . والتاريخ المذكور لا يختلف عما كتبه البطريرك مكاريوس وابنه وكأنه ترجمة ما نشرناه هنا باختصار الا ما اضافه اثناسيوس عن انتخاب كيرلس الحلبي حفيد مكاريوس وانتخاب اثناسيوس بوجود كيرلس المذكور

وبعد مدة اذ وقع اختلاف بين الملك الكسيوس المذكور ونيكون بطريرك مدينة موسكو ارسل الملك شماساً رومي الاصل اسمه ملاتيوس الى بائيسيوس بطريرك الاسكندرية ، والى مكاريوس يدعوهما لعقد مجمع مع روساء كهنة بلاد المسكوب للنظر في امر هذا الخلاف فلبى الدعوة البطريركان وسافرا مع الشماس المذكور الى القسطنطينية ومنها ذهبا الى بلاد الكرج ومن هناك سافرا بحراً الى استرخان التي (كانت) من بلاد مولدافيا ومنها ذهبا الى موسكو حيث قبلهما الملك باكرام وتقوى واذ انعقد المجمع نظروا في امر الخلاف الذي كان فيما بين الملك والبطريرك نيكون وحكموا بعزل هذا ورسموا غيره (يواصف) لكنهم صادقوا على صحة اعماله باصلاح ترجمة الكتب المقدسة (من اليونانية الى السلافية المسكوبية) وقضوا مدة بضيافة الملك باكرام وكرم زائد ثم رجع البطريرك الاسكندري بطريق مولدافيا والفلاخ واما مكاريوس فانه عاد الى بلاد الكرج حيث مات ابنه الشماس بولس مسموماً في مدينة تفلس (في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٩) وعاد وحده الى الشام ولبث فيها الى ان مات في ١٢ حزيران سنة ٧١٨٠ لآدم (١٦٧٢م) وقد اقام في الكرسي خمساً وعشرين سنة وثمانية اشهر »

انتهى كلام البطريرك اثناسيوس . وقيل ان مكاريوس مات ايضاً مسموماً اذ كان يزور رعيته في الميدان من الشام ولا

يبعد ان المال الكثير الذي جمعه باسفاره الطويلة كان سبب موته وموت ابنه اغتيالاً

ومما تقدم ينبغي ان لا نثق بما نقل صاحب كتاب التختيكون عن لوكيان وكل من نقل عنهما ان مكاريوس ذهب الى القسطنطينية وسعى بعزل افتيشيوسَ وارتسم هناك مكانه بطريركاً سنة ١٦٤٣ وحضر المجمع الذي عقده حينئذٍ البطريرك القسطنطيني برثانيوس لشجب ورفض اعتقاد الاراتقة الكلفينيين الذي كان قد حاول ان يدخله الى كنيسة الروم كيرلس لوكاريس لان مكاريوس ارتسم في الشام في ١٦ ت ٢ سنة ١٦٤٧ بعد وفاة سالفه افتيميوس الصاقزي التي كانت في ١١ ت ١ من هذه السنة وكان صديقه وهو اول الساعين لهُ بالبطركية كما تقدم بيان ذلك كله في محله

ثم ان المجمع الذي انعقد في القسطنطينية سنة ١٦٤٣ لم يكن حاضراً فيهِ مكاريوس ولم يكن صار بطريركاً حينئذٍ وانما امضى اعماله بعد ذلك سنة ١٦٥٥[1] عند سفره الى القسطنطينية وامضى على كتاب اقرار او اعتراف الاباء الذي ألفه بطرس

(١) توهم لوكيان من امضاء مكاريوس على اعمال هذا المجمع انه كان حاضراً فيه كما التبس عليه او على المترجم له قراءة اسم سالفه افتيميوس فظنه افتيشيوس وما زال الذين ينقلون عنه يدعونه افتيشيوس بدون مراجعة الاثار القديمة او الخطية

موجيلا مطران كياف الروسي بعد اتمام ترجمته الى اليونانية كما امضاها كل البطاركة وقد تضمن دحض تعليم الاراتقة الكلفينيين الذين ألف مكاريوس فيما بعد رسالتين في دحض اعتقادهم معارضاً ذلك باعتقاد الكنيسة الشرقية وتقليدها وقد نشرهما في مجلة المشرق المرحوم الاب انطون رباط اليسوعي نقلًا عن الاصل المحفوظ في مكتبة باريس العامة . ومن اثار غيرة مكاريوس افتقاده مرارًا لرعيتهِ في بلاد الكرج ورسامته لهم المطارنة والكهنة وتعميده لالوف كثيرة منهم شبوا وكبروا بدون عماد كما يظهر من الرسالة التي كتبها في وصف هذه البلاد ومزايا اهلها الحميدة والردية[1] لان هذه البلاد كانت في القديم داخلة في حكم البطركية الانطاكية

ونستدل من قيام مكاريوس بهذه الاسفار البعيدة الشاقة معما فيها من الاخطار والمخاوف الشديدة والكثيرة في تلك الايام انه كان رجلًا شجاعاً قوي الجسم قادرًا على تحمل مشاق السفر ولا يبالي باخطاره كما تدل على ذلك ملامح وجهه الظاهرة في صورته التي نقلناها هنا . ثم كان ممتازًا بعقله وسعة مداركه وكثرة اكبابه على الدرس والمطالعة والكتابة وشدة حرصه على اعادة مجد البطركية الانطاكية وحفظ اثارها القديمة لنيل الاجر

(١) ترجمت هذه الرسالة الى الروسية وطبعت مع الترجمة في مدينة كزان ثم نقل قسم منها الى الفرنسوية وطبع في رومية .

والثواب على ذلك من الله الوهّاب

***

يجب علينا هنا دفع اعتراض او الجواب على سوءال قد ورد علينا من غير واحد ولعله تبادر الى ذهن كثيرين من القراء النجباء : وهو هل كان مكاريوس كاثوليكياً او متحداً مع الحبر الروماني وقد حضر عدة مجامع في موسكو والقسطنطينية حيث اشترك في القدسيات مع البطاركة والمطارنة الروم غير الكاثوليك ثم ان كتّابهم يفتخرون بهِ كانه اعظم بطاركتهم بل ان حبيب افندي الزيّات بكتابه المعروف بخزائن الكتب يوافقهم على ان مكاريوس كان غير كاثوليكي

فنقول جواباً على ذلك اولاً ان طائفة الروم في البطركية الانطاكية لم تكن في عهد مكاريوس منقسمة الى طائفتين كما هي اليوم بل كانت واحدة وهو وحده بطريركها لا شريك لهُ فيها . ومن ثم يسوغ بعد القسمة لكل من الفريقين ان يفتخر بهِ وباعماله لكنهم هم اولى منا بالشكر لهُ لكونهم احرزوا ويتمتعون الى اليوم بما خلّفه مالياً ومادياً اي بيدهم اليوم دار البطركية وكنائسها وديورتها وكل اوقافها التي اقتناها او جدّدها مما لم يصل الينا منه شيء

ثانياً ان الطائفة المذكورة لم تكن في ذلك العهد مجاهرة بشقاق الروم وان كان اكليروسها وشعبها يشتركون معهم في

القدسيات كما كانوا كذلك قبل وقوع الشقاق المذكور لوحدة الملة واللغة والوطن والطقس منذ القديم الا انهم لم يكونوا مشاركين لهم فعلًا في انشقاقهم اصلًا ولذلك لا نجد احدًا من البطركية الانطاكية ناقض تعليم الكنيسة الرومانية في تأليف او رسالة كما هو دأب المشاقين في كل عصر فانهم يصمون الكنيسة الكاثوليكية بكل عيب حتى يبرّروا ذواتهم من وصمة الشقاق

ثالثاً ان الاشتراك في القدسيات مع الروم لم يكن ممنوعاً في ذلك العهد بل كان مباحاً وجارياً هذا الاشتراك بالفعل في ايطاليا مع اللاتينيين حيثما اتفق لهم ان يجتمعوا مع الروم مثل ليفورنو والبندقية ونابولي وصاقز وبلاد المورة وجميع انحاء البطركية القسطنطينية سواءٌ كان في البلاد التي كانت خاضعة لحكومة البندقية او العثمانية فان التاريخ المدقق يذكر لنا من هذا القبيل حوادث جمة تثبت قولنا وتدفع عنه كل ريبة مما لا يسعنا تفصيله هنا[١] وانما نكتفي بذكر ما يأتي وهو ان الاب جيروم كيرو اليسوعي كان يعظ ويقدّس في كنيسة البطركية الانطاكية المعروفة في دمشق بالمريمية في عهد البطريرك افتيميوس الصاقزي سلف مكاريوس وكان لهُ فيها كرسي خاص لسماع الاعتراف هناك مما لم يكن جارياً استعماله حينئذٍ

(١) راجع لذلك La France catholique en Orient, p. 105 وايضاً La Perpétuité de la foi, vol, II, p. 1178

الا في كنائس الافرنج

رابعاً مما لا شك فيه ان كنيسة الروم كانت كاثوليكية بتعليمها وصلواتها وسائر طقوسها ولا يستطيع احد ان يصمها ببدعة او ارتقة اصلاً بقطع النظر عن بعض الافراد المنسوبين اليها بخلاف باقي الطوائف الشرقية من الارمن والسريان والاقباط والكلدان فانهم اراتقة مشهورون حكماً او مجمعياً ومحرومون من شركة الكنيسة الكاثوليكية ولا يجوز الاشتراك معهم في القدسيات ولا الدخول الى كنائسهم واما كنيسة الروم فلم يكن فيها شيء من هذا ولم يكن فيها مانع جوهري في عهد مكاريوس يمنع الكاثوليكي عن الاشتراك في القدسيات معهم ولو كانوا غير مجاهرين بالايمان الكاثوليكي والاتحاد مع الحبر الروماني[1]

خامساً ان الاحبار الرومانيين لم يمنعوا الكاثوليك عن الاشتراك مع الروم الا بعد ان امتازت كل فئة من هذه الطائفة عن اختها باكليروسها وصورة ايمانها وتعليمها بشأن قضايا الخلاف المعروفة في الربع الثاني من القرن الثامن عشر صيانة لايمان بنيها بل ان بعض علماء اللاهوت الكاثوليك كانوا مع هذا يفتون بجواز هذا الاشتراك في بعض الاحوال خوفاً من اثارة

(١) لم يكن في عهد مكاريوس قد دخل في البطركية الانطاكية ولا الاورشليمية عيد فوتيوس ولا عيد غريغوريوس بلاماس اللذان ادخلها فيها بعد البطاركة اليونان

اضطهاد عام عليهم وقد وقفنا على رسالة من هذا القبيل للاب بطرس فروماج اليسوعي وفتوى للمطران جرمانوس فرحات الماروني وكلاهما ممن لا يستهان بعلمهم ولا يشك في صحة عقيدتهم و كمال طاعتهم للحبر الروماني الى ان صدر منشور مجمع انتشار الايمان بهذا الشان في ٨ تموز سنة ١٧٣٩ فقطع كل جدال

سادساً ان الكاثوليك لم يكونوا يستطيعون حينئذٍ المجاهرة بايمانهم والاتحاد مع الاحبار الرومانيين كما نجاهر به اليوم بكل حرية بعد تحمل شدائد واضطهادات شتى من رجال حكومة تركيا والمشاقين . الا انها قد ارتفعت في عهد السلطان محمود بفضل حماية حكومة فرنسا . فان المجاهرة بذلك كانت متعذرة كلياً لاسباب كثيرة وقوية . ولذلك كان الاحبار الرومانيون يكتفون من الشرقيين ان يمضوا صورة الايمان الكاثوليكي المنسوبة للبابا اوربانوس الثامن امام شهود ثقاة من الكاثوليك وما كانوا يطلبون منهم ان ينفصل الواحد منهم عن طائفته او عن راعيه الشرعي

سابعاً ان سلاطين الاتراك كانوا بموجب الشرع الاسلامي يعتبرون الروم وحدهم اهل الذمة بمقتضى البراءات السلطانية التي كانت تعطى منذ اول الفتح العثماني لبطاركة القسطنطينية ولمن يطلبونها لهم من البطاركة والمطارنة التابعين لهم كما لا يخفى . واذ كان حينئذٍ ملوك اوربا الكاثوليك بحروب تكاد

تكون متصلة مع الاتراك كان الاتراك يعدون كل الكاثوليك اعداء الاسلام ومن اهل حربهم ولو كانوا في دار الاسلام وبلادهم . ولكي يثير عليهم خصومهم حنق المسلمين وغضب الحكومة كانوا يدعونهم افرنجاً . ولهذا السبب كان الكاثوليك من الروم وغيرهم يضطرون ان يكتموا ايمانهم واتحادهم عن المسلمين وعن اخوانهم من ابناء طائفتهم ويشاركوهم في القدسيات جرياً على عادتهم القديمة خوفاً من اثارة اضطهاد عام عليهم

ثامناً ان البطريرك مكاريوس كان على هذا الوجه كاثوليكياً وان اشترك في القدسيات مع الروم جرياً على العادة القديمة لكنه لم يشاركهم في انفصالهم بل بعكس ذلك كان بسلوكه وكلامه وكتاباته كاثوليكياً تماماً على ما تقتضيه احوال تلك الايام فانه امضى صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي بخط يده امام شهود ثقاة وهي محفوظة في سجلات مجمع انتشار الايمان ثم اعلن بذلك مصرحاً بصحة هذا الايمان في مواقف رسمية في كنيستهِ وغيرها امام بطاركة ومطارنة وقناصل ومرسلين من شرقيين وغربيين او افرنج كانوا من معارفه واصحابه الذين عرفوه تمام المعرفة . ولازالة كل ريبة عن ذلك ينبغي لنا ان نورد هنا ما بلغ اليه بحثنا من هذه الشهادات الشافية بنصها :

١ً قال الاب ميخائيل نو اليسوعي في الفصل السابع من الجزء

الرابع من الكتاب الذي ألفه بالعربية سنة ١٦٧٠ وعنوانه احتجاج كنيسة الروم على صحة ايمانها جواباً على من يقول له معترضاً ان البطاركة على خلافٍ مع البابا حينئذٍ : « مَن الذي اخبرك عن رأي البطاركة وافعالهم وهل اعترفوا عندك بكل سرٍ خفي فقد سمعتُ وقرأتُ ان بعضهم بعدوا عن هذا الرأي الردي ورموا الطاعة للبابا على الطريق الممكن لهم ... »[1]

٢ً ان رئيس الرسالة اليسوعية في الشام الاب يوحنا اميو (P. Jean Amieu) كتب رسالة مسهبة عن احوال النصرانية هناك سنة ١٦٥٠ قال فيها عن مكاريوس : « وبطريرك الروم المقيم هنا في دمشق الذي يلقب بالانطاكي ليس متعذراً اتحاده مع رومية نظير اسلافه ... والبطريرك الحالي رجل صالح يحسن الوعظ وان لم يكن قد تعلم الفلسفة واللاهوت وهو يحبنا لان اباءنا ساعدوه وشفوه من مرضهِ اذ كان مطراناً على حلب واذ زار صيدا قابلني فيها احسن القبول ومن دأبه ان يعظ جماعته بانه ينبغي ان نحب الافرنج الكاثوليك كانهم اخوتنا في المسيح ولا يجوز لنا ان نتجنبهم . وكان لكلامه هذا نتيجة حسنة عند الروم وهكذا فعل في طرابلس حيث سمعت بذاتي وعظه في

(١) راجع ما كتبناه في مجلة المشرق عن هذا الكتاب في مقالتنا عن كتاب الدلالة اللامعة

كنيستهم فلو كان متعلماً لكان احسن[١] »

٣ً ان روساء الرسالات الكاثوليكية في حلب وهم اليسوعيون والكرمليون والفرنسيسكان كتبوا سنة ١٦٦٢ تقريراً مفصلاً عن احوال النصرانية في حلب قد امضوه جميعهم . فانهم من بعد ان ذكروا اعمال قنصل فرنسا فيها فرنسيس بيكت (F. Pique) في سبيل مساعدة الشرقيين قالوا : « انه اذ نظر هذا بطريرك الروم اضطر ان يقر ان الدين الحق هو مذهب الرومانيين او الافرنج ولهذا دعا القنصل المذكور والمرسلين لحضور قداس حافل في كنيسته ثم اعلن فيه لشعبه ان الافرنج سالكون حقاً الطريق المستقيم ولما عرف ان القنصل عازم على السفر الى رومية وفرنسا ارسل معه رسالة الى البابا يعترف فيها بانه (اي البابا) هو الحبر الاعظم العام على الكنيسة الارثوذكسية ايضاً وانه سيبذل جهده في سبيل اخضاع طائفته كلها للكنيسة الرومانية » [٢]

٤ً ثم في كلامهم بهذا التقرير عن انتخاب اندراوس اخيجان بطريركاً للسريان الكاثوليك قالوا ان مكاريوس كان من اكبر المساعدين له بانتخابه وقد حضر مع بطريرك الارمن خشادور

(١) راجع مجموعة المرحوم الاب انطون رباط صفحة ٤٠٢ من المجلد الاول التي عنوانها :

Les Documents inédits pour servir à l'histoire du christianisme en Orient.

(٢) راجع المجموعة المذكورة صفحة ٤٥٩

حفلة ارتقائه في كنيسة السريان وهو لابس بدلته الحبرية مع المذكور جالساً على عرش عالٍ مرتفع ثم يقولون « ان هؤلاء البطاركة الثلاثة هم كاثوليك بكل اخلاص القلب وقد ارسلوا الى رومية اعلان طاعتهم وخضوعهم للبابا »[١]

٥ً ثم في الوليمة التي اقامها القنصل بارون (Baron) للبطاركة واكليروسهم اكراماً للبطريرك الجديد يقولون « ان مكاريوس المتقدم فيهم شرب نخب الحبر الروماني وسماه رأس الكنيسة العام وختم كلامه بالدعاء ان تكون الرعية واحدة لراعٍ واحد كما كان ذلك قديماً »[٢]

٦ً ثم ان البعض من الرؤساء المذكورين الذين امضوا هذا التقرير كتبوا لاصحابهم على حدة عن اتحاد البطاركة الثلاثة واعلان طاعتهم للحبر الروماني . ولا نرى حاجة ان ننقل هنا ما كتبوا على انفراد بعدما نقلنا شهادتهم المثلثة عن التقرير المذكور

٧ً ان البطريرك مكاريوس كتب مراراً الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا ومن رسائله له واحدة بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٦٦٣ دفعها لقنصل فرنسا في حلب فرنسيس بارون وقد نشرها المشرق[١] يقول فيها « ولكثرة سماعنا وتحقيقنا بغيرتكم

(١) راجع منها صفحة ٤٦٦ وكتاب السلاسل التاريخية صفحة ١٨٦

(٢) المجموعة المذكورة صفحة ٤٦٦

(١) المشرق سنة ١٩٠٧ صفحة ٥٠١

للامانة البهية ولابنائها المسيحيين الكاثوليكيين يا اعظم ملوك المسيحيين يا اصيل في حسن العبادة والديانة مثل قسطنطين لاجل ذلك ارسلنا لعزة ملككم سابقاً اصطاتيكون بركة ودعا . . . اذ كنا نحن من هذا الجنس الاصيل في حسن العبادة اعني سلالتكم الطاهرة . . » ومراده بالجنس الاصيل في حسن العبادة والسلالة الطاهرة انه نظيره كاثوليكي

٨ً وكذلك كتب اليه مع القنصل المذكور اندراوس اخيجان بطريرك السريان في ١١ شباط يقول له فيها « ثانياً انه في ايام هذا القنصل صار اتحاد الروم والارمن والسريان فالحمد لله ان بطاركة هذه الطوائف الثلاثة كاثوليك . . . » [١]

٩ً ان هذه الرسائل محفوظة في سجلات الوزارة الفرنسوية الخارجية بما يخص تركيا في المجلد السابع ومعها مذكرة في اربع بنود بشأن اصحابها والبند الرابع يقول انه « ينبغي منع التكلم في المنشورات العامة او الجرائد عن هذه الرسائل وعن اتحاد البطاركة اصحابها » [٢]

١٠ً ومن حيث ان القنصل المذكور مُنع عن السفر حينئذٍ فارسلها صحبة معتمد وكتب معه الى الملك والى وزير الخارجية في ٢٣ تموز يخبرهما عن رسائل البطاركة الثلاثة وموضوعها

(١) مجموعة الاب رباط صفحة ٤٧٠

(٢) المجموعة ذاتها صفحة ٤٧٦

ويشهد لاصحابها انهم كاثوليك متحدون مع الحبر الروماني رسمياً بواسطة قنصل دولته ولهذا يكتبون كلما تهيأ لهم فرصة مناسبة لانهم يخشون ان تقع مكاتيبهم بيد اثيمة...[١]

١١ً لا يخفى ان هذا الحادث في غاية الاهمية لا يمكن ان يخفى ولو بعد مدة، مهما بالغ اصحابه في امر كتمانه وهو مسجل في سجلات ديورة الرسالات المذكورة في حلب وعن هذه السجلات نقله موءلف سيرة فرنسيس بيكت[٢] وناشر اعمال رسالة الكبوشيين[٣] والاب انطون رباط والفيكونت فيليب دي طرازي في ترجمة البطريرك اندراوس اخيجان[٤] وغيرهم

ثم ان رئيس رسالة الكبوشيين في حلب (Sylvestre de Saint-Aignan) كلف ان يحمل الى رومية اعتراف البطاركة الثلاثة ومنها سافر الى فرنسا وجمع لهم من اهل الاحسان مبلغاً من المال لمساعدتهم ومساعدة النصارى في حلب بفضل منشور اصدره يومئذٍ بهذا الشأن رئيس اساقفة باريس وقد ابان فيه اتحاد البطاركة الثلاثة وشدة الحاجة الى مساعدتهم في تلك السنة الشديدة[٥]

---

(١) المجموعة ذاتها صفحة ٤٧٦

(2) Vie de Messire François Piquet p. 190,

(3) La France catholique en Orient, p. 149.

(٤) السلاسل التاريخية صفحة ١٨٠

(5) La France catholique en Orient, P. 149.

١٣ ان الذي كتب تاريخ ابرشيـة بيروت المطبوع ذيلاً لتاريخ مخائيل بريك ذكر هذا الامر مصغرًا مشوّهاً بالتعصب الاعمى في كلامه عن الكاثوليك الذين في دمشق اذ اختاروا للبطركية الخوري كيرلس طاناس الذي اختلق رسامته مطراناً بحكاية لا اصل لها ثم قال[١] : « وكان في دمشق جماعة من المنحازين الى رأيه ممن خرجوا من عهد البطريرك مكاريوس الحلبي وذلك انه كان في دمشق[٢] رجل من رهبان الكبوشيين يقال له مالين[٣] وكان يتظـاهر بالبشاشة والانس وحب السلام محافظاً على حسن السيرة[٤] وكان يكثر من التردد على البطريرك ويجالسه لما يرى من حسن سمته ثم صار يتردد الى بيوت المسيحيين فكانوا يقبلونه باكرام لما يرون من اقبال البطرك عليه وميله اليه واستمر الحال على ذلك الى ان توفي البطريرك مكاريوس وارتقى كيرلس ابن الخوري بولس[٥] الى كرسي البطركية فازدادت دالة الراهب المذكور وصار يكثر التردد على القلاية ومنازل المسيحيين والبطرك يسوق له الاكرام لعلمه بما كان بينه وبين جده من المودة . ولما تمكنت الالفة بينـه وبين الرعية صار يخاطبهم في امر العقائد ... »

١٤ ومما تقدم ينبغي ان يكون لمكاريوس علاقات متصلة

(١) صفحة ١٠٦ من طبعة مصر . (٢) والصواب في حلب
(٣) محرّف Sylvestre de Saint Aignan (٤) كشأن جميع الرهبان الكبوشيين (٥) الصواب ابن الشماس بولس

مع البابا اسكندر السابع المعاصر له ويجب ان يكون محفوظاً في سجلات مجمع انتشار الايمان كثير من رسائل مكاريوس له وان لم يسعدنا الحظ على الوقوف عليها[1] الا انه يوجد في مكتبة الواتيكان نسخة من كتاب السواعية في عدد ٦١٨ من المخطوطات العربية من ترجمة البطريرك افتيميوس كرمة بخط يد تلميذه الخوري يوسف ابن انطونيوس سويدان الحلبي ارسلها مكاريوس الى رومية لتطبع بنفقة البابا المذكور لافادة كهنة البطركية الانطاكية وقد كتب عليها بعد المقدمة للمترجم بخط حديث غير خط الناسخ المذكور هكذا « وقد طبعت في مدينة رومية في عهد مكاريوس الجزيل قدسه بطريرك انطاكية من جود واحسان سيدنا البابا الكسندروس السابع ذي الفضائل الكلية ثبَّت الله وجود احسانه ونعمه للانام وشيّد معالي فضائله وفواضله للخاص والعام واجزاه عن فعله بالجوائز الفاخرة بسمو المقام في الدنيا والاخرة . بتاريخ سنة الف وستماية واثنين وستين للتجسد الالهي[2] »

(١) كانت المراسلات التي ترد الى البابوات ومجمع انتشار الايمان من الشرقيين بلغاتهم المختلفة تحفظ كلها في دائرة المجمع المذكور وقد جمعت مع ترجمتها في مجلدات مختلفة على غير ترتيب في اول عهد المجمع المذكور بحيث يتعذر الان على الباحث ان يجد مطلوبه منها لكثرتها واختلافها لغة وتاريخاً وموضوعاً

(٢) ان الناسخ ارّخ نجاز عمله « سنة ١٦٤٣ للتجسد الموافقة لسنة ١٠٤٣

١٥ ثم في سجلات الواتيكان صورة جواب البابا اسكندر السابع في ٢٢ تموز سنة ١٦٦٢ على رسالته يقول له فيها « علمنا من مكتوبك ومن ولدنا فرنسيس بيكت شفاهاً انك ليس فقط تابعاً للايمان الارثوذكسي بل انك تبذل جهدك حتى تجمع كل الشعب الذي تحت سلطتك الى الكنيسة الرومانية رأس كل الكنائس ... واما مطلوبك من الكتب لحاجة الكهنة فقد اوعزنا الى مجمع انتشار الايمان المقدس ان يرسلوها لك كما تعلم من مكتوبهم لك[2] » وليس بعد نص هذه الشهادة شهادة اوضح دلالة او اعلى مقاماً

اعماله في مجمع موسكو

بعد ما تقدم ينبغي ان نقول كلمة عن موقف مكاريوس في روسيا او في مجمع موسكو من حيث الاتحاد او الانشقاق . فانه في سفرته الاولى الى هناك كما تقدم القول دافع عن صحة عماد الكاثوليك برسالة مسهبة تُرجمت الى لغتهم وطُبعت بعد موافقة القيصر والبطريرك « نيكون » في مجمع انعقد من

للهجرة الصحيح انها سنة ١٦٣٤ وهي السنة التي ارتقى فيها المترجم من حلب الى البطركية والتي توافق سنة ١٠٤٣ للهجرة ولا يخفى سهولة وقوع الغلط في الارقام بوضع ٣ قبل ٤

(2) Archivio di Vaticano, 1662, Alexandre VII, Breves ad Principes, an VII, p. 224

رؤساء كهنة الروس سنة ١٦٥٥ ومنع اعادة عماد الكاثوليك .
واما في المجمع الكبير الذي انعقد سنة ١٦٦٧ وفيه ١٥٠ حبراً من الروس و٢٨ من اليونان و١١٨ من سواهم برئاسة البطريرك الاسكندري والبطريرك الانطاكي مكاريوس وبائيسيوس اسقف غزة*. فان غاية القيصر الكسيوس من عقد هذا المجمع بهذا العدد الكبير من الروساء والبطاركة اصحاب الكراسي الرسولية انما كانت لاجل اظهار عظمته القيصرية بكل الابهة القديمة تقليداً لملوك الروم ثم اذلالاً وتمكيناً لشجب البطريرك نيكون الذي بسعة معارفه وحصافة عقله وحدة ذهنه ومضاء عزمه وشدة دهائه كان يحسب اعظم رجل في روسيا واكبر مقاوم للقيصر وللاعيان كما يظهر من تاريخ حياته ومن اعمال المجمع المذكور الذي انعقد لاجل شجبه كما يظهر من احكامه ومقرراته . واليك اخص او اهم هذه الاحكام التي قررها المجمع المذكور :

اولاً عزل نيكون عن البطركية وحرمه ونفيه في احد الديورة لا يعطى غير الخبز والماء مع انه كان قد تنازل عن البطركية وحقوقها .

ثانياً اثبات صحة ترجمة الكتب المقدسة والطقسية التي صحّحها وقابلها على الاصل اليوناني نيكون المذكور واجازة استعمالها

وابطال الترجمة القديمة[1]

ثالثاً ان القيصر والاعيان الاشراف لهم حق بانتخاب البطريرك نظير روساء الكهنة . والقيصر له حق ان يحاكمه ويعاقبه متى اذنب

رابعاً بطريرك موسكو ليس مستقلاً تمام الاستقلال عن البطريرك القسطنطيني الا ان هذا لا يحق له شيء من مداخيل الكنائس والعشور الا ما ينعم به القيصر باختياره[2]

خامساً لا يجوز للبطريرك انشاء ابرشيات جديدة بدون رضى القيصر والاعيان

سادساً منع الجميع عن وقف الارزاق وبيعها وهبتها للرهبان

سابعاً اثبات وتقرير منع اعادة عماد الكاثوليك الخاضعين للبابا

ولا يخفى انه لا يوجد شيء في هذه الاحكام فيه رائحة الشقاق او مضاد للاتحاد الكاثوليكي . الا انه خارج جلسات المجمع قد جرى الحديث بين البعض من اعضائه في امر تجديد

---

(١) لم يكن لمكاريوس يد في هذه الترجمة ولا بمقابلتها على الاصل اليوناني اذ لم يكن يحسن التكلم ولا القراءة باللغة الروسية وكان يكلم القيصر واصحابه باليونانية مع صعوبة وقصور كما يذكر ذلك الشماس بولس

(٢) كان بطريرك موسكو قبل نيكون تابعاً لبطريرك القسطنطينية ولما انتُخب هذا كتب له يخبره بانتخابه بالهام الروح القدس واتخذ لقب كلي القداسة كما يفعل بطاركة القسطنطينية واعلن استقلاله التام عنه

الاتحاد مع الكنيسة الرومانيـة تسهيلًا وتمكيناً لاتحاد مملكة بولونيا ومملكة روسيا على ماكان يرغبه ويسعى اليه عدد عظيم من اكابر رجـال المملكتين في ذلك العهـد ومنهم القيصر الكسيوس والقيصرة امرأته والبطريرك نيكون ويوحنا كزمير ملك بولونيا ورجال سفارته في موسكو وسفير البـابا لدى ملك بولونيا وكان مكاريوس ورفيقه اسقف غزة من اكبر المساعدين والساعين في ذلك . الا ان اختلاف غاية كل منهم جعلهم لا يتفقون على شيء حتى ان البطريرك نيكون اتهم بمكاتبات سرية مع ملك بولونيا . وبطريرك اورشليم نيكتاريوس كتب بحق اسقف غزة انه باع نفسه بمبلغ من المال للكاثوليك بحيث انحل المجمع المذكور ولم يأتِ بعمل لائق او مفيد وقد حصرت اعماله بمقاومة البطريرك نيكون وعزله وحرمه ...

وقد حدث في موسكو على اثر اعلان حرم نيكون ونفيه حرائق تكرر وقوعها التهمت الوفاً من دور الاعيان يقال ان مسببيها كانوا اصحاب نيكون وهولاء يقولون انها نقمة من الله العادل من الظلم الذي جرى على هذا البطريرك وغيرهم يتهمون بها الراسكولنك خصوم المجمع والله اعلم[1] . وقصارى

---

(١) الراسكولنك لفظة روسية ومعناها المشاقون وهم شيعة كبيرة في روسيا لا يقل عددهم فيها عن اثني عشر مليوناً اكثرهم من القوزق . ويسمون انفسهم الروس القدماء وهم المتمسكون بالترجمة والكتب القديمة . وقـد

الكلام انه كان يخشى من وقوع ثورة عامة في المملكة وكانت الهمجية حينئذٍ في روسيا اقوى مما هي في هذه الايام التي قتل فيها القيصر وافراد اسرته شر قتلة ولذلك سعت حكومة روسيا حينئذٍ بسرعة سفر البطريركين وسائر رؤساء الكهنة الذين كانوا في هذا المجمع ولهذه الاسباب انقطعت مواصلة المفاوضة بشأن تجديد الاتحاد بعد تفرق الراغبين والساعين فيه كما تشهد بذلك المراسلات التي دارت على ذلك بين المذكورين وغيرهم من كبار رجال الدين والسياسة وقد نشر منها شيئاً مهماً المورخون الثقاة[1]

كتاب نحلة مكاريوس

على ان حبيب افندي الزيات اذ قابل بين ما كتبه المطران غريغوريوس عطا عن مكاريوس بانه كان مائلاً الى الاتحاد نقلاً عن كتاب التختيكون وبين ما كتبه عنه اصحاب جريدتي المنار والمحبة وما نقله عن النسخة الناقصة من كتاب النحلة

حرمهم لذلك مجمع موسكو المذكور . ويسمون الروس نيكونيين . وهم لا يخضعون لكنيسة المملكة ولا للنظام العسكري . وقد اضطهدهم كثيراً قياصرة روسيا بغير ان يقدروا ان يخضعوهم الخضوع التام

(1) Monuments historiques de Russie relatifs aux règnes d'Alexis Feodor III et Pierre, extraits des archives du vatican par Thener, Rome 1859.

Storia dell. emperio russo compilata del Compagnoni e publicata da Segur 1824 tomo III, ch. XXIV

المنسوب لمكاريوس بشأن تاريخ الانشقاق ظهر له ان مكاريوس كان مائلاً الى الانشقاق اكثر من ميله الى الاتحاد . الا انه لو وقف على نسخة كاملة من الكتاب المذكور وطالع كل فصوله ولاسيما كلامه عن فتح القسطنطينية وعاقبة الشقاق على الروم لكان عدل عما كتبه . ولو يقف على ما نكتبه هنا عن مكاريوس وعن الشهادات المختلفة المصادر التي اتينا بها من ثقاة الرواة لقال الصواب معنا بعد هذا البيان

على ان كتاب النحلة المذكور هو بالاصل « تأليف بائيسيوس الصاقزي مطران غزة باليوناني دعاه مؤلفه كتاب الرموز اذ فيه اخبار ورموز على ما هو مزمع ان يصير » وقد اتى فيه المؤلف بكل غريب وجمع فيه مع الحقائق التاريخية ترهات وطلاسم واباطيل كثيرة ولهذا رغب مكاريوس في ان يعرّب بعض فصول اختارها منه مما لا وجود له في العربية وضم اليها ما شاكلها مما نقله ايضاً عن اليونانية ولهذا نسبه لنفسه ودعاه « نحلة البطريرك مكاريوس » اسوة بغيره من الكتَّاب الذين دعوا مصنفاتهم على هذا الشكل كما يصرح بذلك في المقدمة التي وضعها في صدر الكتاب المذكور من قلمه وهو تشبيه لطيف مأخوذ من جنى النحـل . وكان الاولى والاشبه به ان يدعوه كتاب الكشكول لانه على نسق كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي المشهور ... ونظن ان هذا الكتاب لم يطبع بعد في الاصل

اليوناني ولا في ترجمته العربية . ولعلّ مكاريوس وقف عليه مخطوطاً بيد المؤلف في سفرته الثانية الى روسيا وهناك عرّب بعض فصوله التي اختارها منه عند فراغه من اشغاله الخاصة كما يظهر من مطالعة الكتاب المذكور في بعض فصوله . وهو لشدة ولعه بالتواريخ الشرقية نقل هذه الفصول كعادته بغير ان ينتقد ما فيها من الخطإ والصواب . ومن ثم لا ينبغي ان يعتبر ما نقله عنه حبيب افندي الزيات انه دستور ايمانه وصورة اعترافه

ولا يخفى ان مؤلف الكتاب المذكور بائيسيوس الصاقزي هو من اشهر علماء عصره ويصح ان يقال فيه انه حية الوادي بالمكر والدهاء . فانه تخرّج في مدرسة القديس اثناسيوس المشهورة في رومة بمدرسة اليونان اذ كانت بادارة الاباء اليسوعيين وقد ارسله مجمع انتشار الايمان الى الشرق ليدعو الاخوة المنفصلين الى الاتحاد الكاثوليكي . فذهب الى القسطنطينية وتقرّب الى بطريركها حينئذٍ فجعله واعظاً في جميع كنائسه ثم ارسله الى رومانية وهناك تعرّف بالبطريرك الاورشليمي بائيسيوس فتقرّب اليهِ حتى رسمه مطراناً على غزة ودعاه باسمه دليلاً على شدة محبته لهُ واتى معه الى فلسطين لكنهُ عاد بعد قليل الى رومانية واقام في مدينة جاسي استاذاً في مدرستها وتقرّب الى الامير باسيليوس حاكمها العام فاتخذه مستشاراً له ومعلّم اعترافه .

وهناك وضع بعض مصنفاته التاريخية والجدلية ضد الاراتقة الكلفينيين وقد خلط فيها الغث والسمين . ولم يكن فيها شيء سالماً من الدغل وفساد التعليم وكان مع هذا لا يزال يراسل مجمع انتشار الايمان ويطلب منه المساعدة للقيام بمعاشه الا ان المجمع اذ عرف مداجاته استدعاه الى رومية . ولما عرف ان امره انكشف وانفضح ذهب الى موسكو وتقرّب الى بطريركها نيكون وساعده على اتمام ترجمة الكتب المقدسة وتصحيحها الا انه ما لبث حتى انقلب عدواً لهُ ومن شر قضاته الذين حكموا عليهِ بالعزل والنفي والحرم كما تقدمت الاشارة الى ذلك . وهكذا كان شأنهُ مع بائيسيوس الاورشليمي وخليفتيه نكتاريوس ودوسيتاوس اذ كان يصادقهم تارةً ويجافيهم تارة اخرى[1] . فلا بد والحالة هذه من ان يكون قد صانع حينئذٍ مكاريوس حتى شاركه في الحكم على نيكون وعرّب ما اراد من كتابه معها فيهِ من الزور والبهتان وقد غرّه ما فيه من زخرف القول وغرابة اخباره والله وحده يعلم ما تكنّ الصدور

رسالة كيرلس الحلبي للبابا اكليمنضس الحادي عشر

ثم ينبغي ان نورد هنا اثباتاً لما تقدم اول رسالة كتبها كيرلس الحلبي للحبر الروماني في سبيل الاتحاد معه وقد ضمّنها

(1) Le Collège pontifical grec de Rome P. 65 et caractère des relations de la Russie avec l'Orient orthodoxe au XVI[e] et XVII[e] siècle P. 181-206.

دستور ايمانه . وهي حقيقة لسان حال بطاركة انطاكية في ذلك العهد وهي سند تاريخي على اتحاده واتحاد جده مكاريوس وعلى كل ما اتينا على بيانه بهذا الشان . وقد نقلناها عن اصلها المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان بكل ضبط وتدقيق . وقد نشر ترجمتها الى الايطالية سيادة مطران اثينا في ملحق مجموعة المجامع في المجلد الواحد والخمسين منقولة عن السجلات المذكورة . وهذه هي بنصها

المجد لله تعالى دائماً

كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

الى جناب حضرة الاخ الاقدس كير اكليمنضوس البابا الحادي عشر مشرف كنيسة رومية القديمة العظمى حرسه الله لنا زماناً طويلًا

الى قداسة اب الآباء وسيد السادات قابل النعمة ومعطي البركة رأس روساء الكهنة الابرار خليفة بطرس الرسول والاناء المختار فريد عصره الشائع ذكره بالاقطار قدوة النساك الاطهار وكنز التعليم وقطب الاربعة الاقاليم . ابرهيم في سماحتهِ واسحق في وداعتهِ ويعقوب في طاعته ويوسف في عفتهِ والياس النبي في غيرتهِ واشعيا في فصاحتهِ ودانيال في طهارتهِ وسليمان في حكمته وزخريا في كهنوتهِ ويوحنا الثاولوغوس في اقواله



ويوحنا المعمدان في كرازتهِ وفم الذهب في تفسيره وانذاره[1]

اما بعد فالذي نعرضه لقدسكم هو ان وصل الينا مكتوبكم الشريف وقريناه وحمدنا الله تعالى على سلامتكم والذي قدسكم بكل خير . وقد بلغكم من المرسلين باننا قوي رافعين شانكم وذكركم غير منقطع عندنا في كل صلاة وقداس الهي ونطلب من رب البرية ان يحقق المحبة الروحانية بين الخاص والعام لان بلا محبة ليس سلام ويعلم الله ان غاية قصدنا المحبة لان قد بلغنا من تلاميذ قدسكم ان كل قصدكم ان تكون المحبة والسلامة مع الاخوة والاولاد الروحانيين وتجمعوهم الى كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . ولكن باغض الخيرات دائماً لا يكف ولا يهدا عن تبلبل الكنيسة حتى انهُ اظهر اسم الكنيسة الشرقية والغربية ولكن في المجمع الاول المسكوني الذي كان بحضور سلفستروس بابا رومية وضعوا نؤمن بالهٍ واحد

(١) لا يسوغ ان تعتبر هذه الالقاب والنعوت السامية من باب المبالغة بالمديح الشخصي من كيرلس وهو لم يعرف البابا ولم يكتب اليه من قبل بل هي القاب قانونية شرعية اعتاد ان يلقب بها كل الاحبار الرومانيون من الشرقيين واما لقب الاخ الاكبر كما سيأتي ذكره صريحاً في هذه الرسالة نفسها صفحة ١٤٤ فهو مأخوذ من احد القوانين المنسوبة للمجمع النيقاوي الاول المعروفة في اوربا بالقوانين العربية فانه يقول ان البطاركة كلهم اخوة ويجب ان يخضعوا للبابا مثل الاخ الاكبر

وفي المجمع الثاني المسكوني الذي كان بحضور دماسيوس بابا رومية والمجمع الثالث المسكوني كان بحضور (وكلاء) كالستينوس بابا رومية والمجمع الرابع المسكوني كان بحضور (وكلاء) لاوون بابا رومية والمجمع الخامس المسكوني كان بحضور فيجيليوس بابا رومية والمجمع السادس كان بحضور اغاتون بابا رومية والمجمع السابع كان بحضور بطرس وبطرس وكلا ادريانوس بابا رومية ولم يكن يصير مجمع مسكوني بدون خاطر بابا رومية ونحن نؤمن باله واحد وبالنتيجة بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية لا كنيسة شرقية وغربية . ومن ذلك الزمان الى الان الكنيسة الشرقية تطلب دائماً وتقول كل يوم « من اجل الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية من الرب نطلب » وما تقول كنيسة شرقية وغربية بل دائماً نطلب السلام للعالم جميعه حتى للذين يبغضونا والذين يظلمونا. هذا كله مطبوع في كتب الكهنة عندكم . ونشكر الله تعالى على ان كنيستنا (هي) على ايماننا الذي نحن ماسكينه من السبعة المجامع المسكونية ونترحم على البابا افجانيوس الذي قصد المحبة والسلام في زمان المرحوم الملك يوحنا البالالوغوس وعمل المجمع الثامن[1] قصد به المحبة والسلام والهدو لكن باغض الخيرات حرك الفتن بالضد. والروم

(١) المراد به المجمع الذي انعقد في مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا سنة ١٤٣٩

من طبعهم العناد ... فما قبلوا ذلك . وبعده حركت نعمة الروح القدس البابا نقولاوس اذ وجد ان كلما تعب فيه وعمله البابا افجانيوس قد خربوه الروم فركب بذاته الى مقابل القسطنطينية وارسل رسله الى الملك والاكليروس فما قبلوا حتى صار فيهم الذي صار ونحن رحنا بسببهم . فنسأل الله المسبَّح بكل لغة ولسان ان يعطيك الرب الاله ان تجمع الاخوة والاولاد الروحانيين الذين اشتراهم سيدنا يسوع المسيح بدمه الكريم الثمين الى حريته الحقيقية. ثم ان جدنا المرحوم البطريرك مكاريوس بعد حضوره من المصكوف كان غاية قصده الحضور الى رومية ليعمل محبة وسلامة ولكن بقى (كان) يقول ان الاخوة اذا تقاتلوا ما يبقى احد عاقل يصلح بينهم وان رحنا الى رومية يقول الروم البطرك مكاريوس صار فرنجي. وسابقاً المرحوم جيفالا رئيس اساقفة قبرس[1] لاجل حضوره الى رومية عملوه انه افرنجي . ربنا يهلك كل من ابدع هذه البدع وفرق الاخوة عن اخوهم الاكبر . وجميع الناس يقولوا الوعاء الكبير يسع الصغير . ولكن كل من قرّب اليكم بالظاهر يصير عند الامم الغريبة كافر

(١) كان من تلاميذ مدرسة القديس اثناسيوس في رومة وهو مؤلف تاريخ ملوك الروم الذي عربه لمكاريوس الخوري يوسف سويدان الحلبي

وربما بلغكم اخبار بطرك السريان[1] كيف طائفته الاراتقة عملوا معه من المساوي ومات في المنفى وهو بلا شك من القديسين . والاساقفة والكهنة (رفاقه) ما خلص منهم الا القليل . ونحن كنا دائماً نرسل مكاتيب الى تلاميذنا الذين هناك بان يحسنوا اليهم وهم في الحبس ويخدموهم اكراماً للكنيسة الرومانية . وقنصل (فرنسا) بحلب لو انه يعطى خمساية قرش ماكان صار فيهم هكذا . ولكن نحن بقوة المصلوب لما حضر القبجي لعندنا بالشام وجابنا وقرى علينا الخط الشريف وسالنا عن اتباع البابا عندنا وتوابعهم ردينا الجواب عن الجميع وبقوة الله منعناه وما خليناه يتحرّش في راهب ولا قسيس ولا كاثوليكي وخسرنا من كيسنا مبلغ عظيم ربنا يعرف حتى دفعنا الشر عنهم خوفاً من ان تجري العادات السيئة الجارية بغير بلاد . لكن في هذا الزمان جماعتهم خسيسين الله يرحم القنصل بيكت (Piquet) في زمانه صار اندراوس بطرك على السريان وهو وقف بحملته وتكلف في تلك السنة نحو سبعين كيس على الفقراء لانها كانت سنة غلا شديد ولما نظروا فعل الخير الذي صنعه ارسل جدنا البطرك مكاريوس واندراوس بطرك السريان وبطرك الارمن (خشادور) اخبروا قدس المرحوم البابا بالخير الذي صنعه . فان كان طيب ربنا يزيده بركة من فمكم الطاهر

(١) هو غريغوريوس شاهبادين راجع ترجمته وما اصابه مع رفاقه في كتاب السلاسل التاريخية صفحة ٥٩ وما يليها

وان كان تنيح الرب يجعل حظه مع الابا القديسين فهكذا كانوا القناصل يفعلوا الخير والناس تميل اليهم ويتمجد خبرهم

وايضاً المرحوم سلطان فرنسا (لويس الرابع عشر) لما وقع بينه وبين طائفة الانكليز (البروتستان جدال) وقالوا لهُ نحن تبع الكنيسة الشرقيــة فبعث طلب اعتقاد الكنيسة الشرقية فكتب له جدنا البطريرك مكاريوس عشرين باباً في اعتقــاد الكنيسة الشرقية وفي اثناء ذلك توفي جدنا وانتخب الحقــير مكانه والمكاتيب ما كانوا بعد توجهوا فبعثوها الينا فامضيناها وحققنا قوله

وان شا الله ما تكون الكنيسة الشرقية ناكرة كنيسة رومية ولا آخذتها بانها محدثة وهذا مدون في كتب الكنيسة وان بابا رومية هو الاخ الاكبر وتذكارات الباباوات في اعيادهم الممتازة موجودة في الكنيسة الشرقية . ولكن هذه الامور الموجودة اليوم في هذا الزمان ما كانت في القديم لانه لما ظهر معلمين النجم والرصد فهذه العشرة ايام صار فيها شقاق عظيم (بسبب الخلاف في الحساب) اذ يكون مسيحي صائم ومسيحي فاطر فطائفة الموارنة اعرضوا لديكم بانهم قلائل والروم ما تجوزهم والام ما يجوزوهم فلكونكم مباركين وما تعرفون الكذب صدقتموهم فقالوا ان قدس البابا اعطانا دستور ان نتجوز على اربعــة وجوه (بالدرجة الرابعة من القرابة) وايضاً العلماني اذا

ماتت حرمته يتجوّز غيرها ويعملوه كاهن وبهـذه الاسباب وغيرها صرنا عاراً عند الامم والاراتقة لكون يبقى نصراني صائم ونصراني فاطر ونصراني يتجوز على سبعة وجوه واخر على ثلاثة وجوه وهم كذبوا عليكم ولكونكم ناس مباركين صدقتم قولهم وهم يسوّدوا عرضكم ويقولوا البابا اعطانا دستور بذلك ونحن ما كنا نصدق قولهم بان ينشو (يصدر) من قدسكم هذا وكل هذا صار بسبب الافتراق وتسمية كنيسة شرقية وغربية[1]

ولكن نحن معتقدين ومحققين بان كنيسة رومية من السبعة المجامع الكبار والمجامع الصغار رافعين شانها لكونها ام كنائس الدنيا ومقرين ومعترفين بكنيسة واحدة ومعمودية واحدة ونبارك ما باركوه ونحرم ما حرموه لكن الاميين لما ينظروا هكذا امور غير مصدقة وليس لكم عنها خبر لهذا السبب ينفروا من ذلك

(١) لا يصح ان يقال في من يكتب هذه الكتابة بحق الموارنة انه ارتد الى الايمان الكاثوليكي على يد بطريركهم العلامة اسفطان الدويهي الذي توفي سنة ١٧٠٤ ومعلوم انه لم يكن بين جميع الطوائف الشرقية غير الموارنة تابعين للحساب الغريغوري او الغربي ولذلك كان الشرقيون يسمون هـذه الطائفة غربية . ولم يكن مباحاً عند غيرهم رسامة الكهنة الارامل ولا الزواج مع الاقارب ولم يكن احد من بطاركتهم يفسح لهم بذلك فكان هذا الخلاف الظاهر يعتبر عند كيرلس وغيره في ذلك العهد بدعة من دواعي او نتيجة الانشقاق وان كان يقول بان فرق الحساب مسند الى اقول العلما الفلكيين

وتقع الشكوك ويتم قول الانجيل المقدس الويل لمن تاتي الشكوك على يده فاذا صار من قدسكم مرسوم برفع هذه الامور الموجودة الان وارتفعت يكون الروح القدس حقيقة حاضر معكم لاننا صرنا عاراً عند الامم والاراتقة ولو كانوا الاراتقة اراتقة ولكن صيامهم وطقسهم وزيجاتهم ما غيروها بل هي بموجب الناموس المقدس ونحن نسأل المسيّح بكل لغة ولسان بان يعطيك الرب الاله ان تجمع الاخوة والاولاد الروحانيين الذين اشتراهم المسيح بدمهِ الكريم الثمين الى صيرته الحقيقية ويعطي الرب الاله لكل من يريد السلام والمحبة كما قال السيد له المجد : « سلامي اعطيكم سلامي اخلفه لكم » فما قال فتنة وعناد وشرور وناس تقول عملتم كذا وناس تقول الحق معنا وانتم ما معكم حق . وتم فينا قول الانجيل المقدس : نترك الخشبة التي في اعيننا ونقول لاخونا اخرج العودة التي في عينك . وعند قراءتنا الكتب المقدسة نعدل عن السماع لها كقول يوحنا الانجيلي حيث يقول انك تحب الله ولاخيك تبغض . باطل قولك اذ كيف الذي تراه تبغضه والذي لا تراه تحبه. وسيدنا له المجد قال : حبوا اعداكم واحسنوا لمن يبغضكم . ونحن الان عملنا كله بخلاف ما اوصانا تعالى به . ولكن نطلب من حنو مراحمه ببركة صلواتكم ان يجعلنا من السامعين الطائعين لما يرضيه ويفرّحكم باجتماع الاخوة والاولاد الروحانيين وتقول

هؤلا هم الاولاد الذين اعطاني اياهم الله ادخلوا الى فرح ربكم . يكون ذلك لكم بشفاعة العذراء البتول ومار بطرس الرسول وجميع القديسين امين . جرى ذلك وحُرّر في اليوم العشرين من شهر آب المبارك في سنة الف وسبعماية وستة عشر بمحروسة دمشق الشام

من اخيكم بالمسيح

كيرلس

البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

ويكون غضب الله وغضب الاباء القديسين وغضب البابا كيرا كليمنضوس الحادي عشر صاحب هـذا المكتوب على كل من يزيد او ينقص كلام غير الذي هو مكتوب في هذا المكتوب اذا ترجمه فليعلم كل واقف عليه من المفسرين قاطبة .

ماحق خير — واصل لكم مع البادري بالاسيوس والخوري ساروفيم هدية حقيرة قيمتنا ما هي من مقام قدسكم عكاز صدف اذا مسكتموها بالقداس الالهي تذكرون حقارتنا ومرطبان صيني داخلـه رطل دهن البلسم صافي . . . .

فهرس الكتاب

صفحة

هذه الكتب

تطلب من مكاتب بيروت ومصر ومن وكلاء دير المخلص
ومن الخوري قسطنطين الباشا

	الثمن غروش مصرية
كتاب الكهنوت للقديس يوحنا فم الذهب	٤
كتاب دفع الهم لايليا النسطوري مطران نصيبين	٤
نبذة تاريخية للسعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم في احوال طائفة الروم الكاثوليك في عهده	٧
ميامر ابي قرة اسقف حوران من اقدم وابلغ ما كتب في العربية في بيان العقائد النصرانية	٧
رواية فتاة الاسكندرية	٢
سيرة القديس يوحنا الدمشقي بنصها الاصلي العربي	٢
معالم الكتابة ومغانم الاصابة	٤
سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي في تاريخ البطركية في عهده	٧